الأمن الفكري

دراسة في ضوء وسطية التشريع الإسلامي

إعداد

د/ هدى حسن صديق عبد السلام

مدرس بقسم الشريعة الإسلامية -كلية دار العلوم –
جامعة المنيا - جمهورية مصر العربية

الأمن الفكري، دراسة في ضوء وسطية التشريع الإسلامي

هدى حسن صديق عبد السلام
قسم : الشريعة الإسلامية- كلية دار العلوم- جامعة المنيا- جمهورية مصر العربية
البريد الالكتروني: dr.hudahasan@mu.edu.eg

الملخص

بدأت الباحثة بحثها بالحديث عن أهمية الأمن الفكري، وكيف أنه أساس أنواع الأمن الأخرى، خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الحروب الفكرية والتي أصبحت أشد خطرا من الحروب العسكرية، ثم تحدثت عن أسباب الانحراف الفكري، وأوضحت ضرورة مواجهتها والتصدي لها بكلّ حزمٍ وقوةٍ، ومعالجتها بعيدًا عن الطرق التقليدية القديمة؛ فمنافذ الغزو الفكري واسعة وكبيرة، أوسع من أن تُحدّ بالطرق التقليدية، خاصةً في ظل التطور الهائل لوسائل الاتصال؛ فقد أصبحت التكنولوجيا هي المسيطر الأول على عقول الشباب والمؤثر الفاعل فيه، ثم تحدثت الباحثة عن وسطيّة التشريع الإسلامي واعتداله؛ ومدى ارتباطه الوثيق بالأمن الفكري، لأنه لا مخرج من الأزمة الفكرية الراهنة إلا بالتمسك بمبادئ الدين الوسطيّ البعيد عن التشدّد والتعصّب والمغالاة .

الكلمات المفتاحية: أمن، فكر، وسطية، غزو فكري، دين، تشريع .

Intellectual Security, a study in light of the moderation of Islamic legislation

Hoda Hassan Siddiq Abdul Salam
Department of: Islamic Sharia (law) - Faculty of Dar Al Uloom (Home of Science) - Minia University - Arab Republic of Egypt
Email: dr.hudahasan@mu.edu.eg

Abstract

The researcher began her research by talking about the importance of intellectual security and how it is the basis of other types of security especially in this era in which intellectual wars have abounded and which have become more dangerous than military wars. Then I talked about the reasons for intellectual deviation showing the necessity of facing and resisting it strictly and strongly and treating them far away from old traditional methods as the means of intellectual invasion are too wide to be limited by traditional methods, especially in light of the tremendous development of means of communication.

Technology has become the first dominant and influential factor on the minds of the youth. Then the researcher spoke about the moderation of Islamic legislation and how it is closely related to intellectual security because there is no way out of the current intellectual crisis except by adhering to the principles of the moderate religion that is far away from extremism, fanaticism and exaggeration.

Keywords: security, thought, moderation, intellectual invasion, religion, legislation.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...

أما بعد،،،

فإن نعمة الأمن من أهم النعم التي منّ الله – تعالى – بها علينا، وليس المقصود بالأمن أن يكون أمنًا على المال أو النفس فحسب، وإنما للأمن أنواع عدّة؛ فهناك الأمن القومي، والأمن الفكري، والأمن الاجتماعي، والأمن الاقتصادي، والأمن السياسي، والأمن الغذائي... إلى آخر ذلك من أنواع الأمن الأخرى.

وقد آثرتُ الحديث عن الأمن الفكري؛ نظرًا لما له من تأثير كبير على أنواع الأمن الأخرى، خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الحروب النفسية والفكرية التي أصبحت أشد خطرا من الحروب العسكرية، فالحرب الفكرية – نسأل الله تعالى السلامة منها – تدمر الشعوب وتهدد أمنها وسلامتها.

ونظرا لأن الغزو الفكري أصبح خطرًا يهدد مجتمعاتنا، ويؤثر بشكلٍ كبيرٍ على عقول شبابنا وأبنائنا؛ لذا لا بُدَّ من مواجهته والتصدي له بكلِّ حزمٍ وقوةٍ بعيدًا عن الطرق التقليدية القديمة؛ فمنافذ الغزو الفكري واسعة وكبيرة، أوسع من أن تُحدّ بالطرق التقليدية، خاصةً في ظل التطور التكنولوجي الهائل لوسائل الإعلام والاتصال؛ فقد أصبح العالم كالقرية الصغيرة، وأصبحت التكنولوجيا هي المسيطر الأول على عقول الشباب

والمؤثر الفاعل عليه.

وقد قمتُ بربط موضوع الأمن الفكريّ بوسطيّة الإسلام واعتداله وسماحته؛ لأنه لا مخرج من الأزمة الفكرية الراهنة إلا بالتمسك بمبادئ الدين الوسطيّ المعتدل البعيد عن التشدّد والتعصّب والمغالاة، ومن فَضْلِ الله على أمتنا الإسلامية أن ميزها بميزة لم تكن لأمة من الأمم السابقة، ألا وهي ميزة الوسطيّة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٤٣]، ومن المتعارف عليه أن لفظ (الوسطيّة) لفظ كبير ومتعدد المعاني، ويشمل أكثر من مدلول، والمتأمل في تفسير هذا اللفظ يجد أن مدلوله لا يخرج عن معاني العدل والفضل والخيرية والبينية، وهذا ما سيتضح في ثنايا البحث.

هذه هي حقيقة الإسلام التي أخبر بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، دين حنيف وسطي معتدل، ينبذ التشدد والتطرف والمغالاة، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٨٥]، وقال – ﷺ –: « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ... »[(١)].

لكن ابتُلينا ببعض المرتزقة الجهلاء الذين يحاولون تشويه صورة الدين الوسطيّ المعتدل؛ وذلك بنفي صفة الوسطيّة والاعتدال عنه، وإضفاء صفة التشدد والتعصب والمغالاة، هؤلاء أشد خطرًا على المجتمع من

(١) صحيح البخاري: ١/١٦، باب: الدين يسر وقول النبي – ﷺ –: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»، حديث رقم (٣٩)، والحديث مذكور كاملًا في الصفحات القادمة.

غيرهم، فيجب التصدي لهم وبيان ضعفهم وكذبهم وافترائهم، والتحذير منهم ومن أفكارهم الهدّامة التي تسعى لهدم مبادئ الدين الوسطيّ الحنيف، واستبدالها بأخرى ما أنزل الله بها من سلطان.

وقد قمتُ بتقسيم هذا البحث إلى مقدمةٍ وتمهيدٍ ومبحثَيْن على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع ومضمونه.

التمهيد: وفيه التعريف بأهم ألفاظ ومصطلحات البحث.

المبحث الأول: في الأمن الفكري،

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأمن الفكري في الإسلام.

المطلب الثاني: أهمية الأمن الفكري.

المطلب الثالث: أسباب الانحراف الفكري.

المطلب الرابع: وسائل حماية الأمن الفكري.

المبحث الثاني: جعلته للحديث عن وسطية التشريع الإسلامي في تحقيق الأمن الفكري.

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

تمهيد: تعريف مصطلحات البحث:

(الوسطيّة - الأمن - الفكر - الأمن الفكري)

أولًا: تعريف الوسطيّة:

الوسطيّة في اللغة: كلمة (وسط) في اللغة تشمل عدّة معانٍ مُتقاربة الدلالة؛ وذلك على النحو التالي:

جاء في مقاييس اللغة: الواو والسّين والطّاء: بناءٌ صحيحٌ يدلّ على العدل والنّصف.

وقال ابن منظور: ووسط الشيء وأوسطه: أعدله.

وتأتي لفظة (وسط) بالفتح والسكون: فتأتي بالفتح بمعنى التوسُّط في الشيء، قال الجوهري في الصحاح (وَسَط) : الشيء بين الجيد والرديء، وتأتي – بالفتح أيضًا – صفة بمعنى خيار وأفضل وأجود، فأوسط الشيء أفضله وخياره، وتأتي (وسْط) بسكون السّين فتكون ظرفًا بمعنى (بين)، تقول: جلست وسْط القوم أي: بينهم.

وكيفما تصرفت هذه اللفظة نجدها لا تخرج في معناها اللغوي عن معاني العدل والفضل والخيرية والبينية وما شابه ذلك(١).

---

(١) انظر في معاني (الوسط): معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ١٠٨/٦ مادة: (وسط)، لسان العرب لابن منظور: ٤٢٨/٧ مادة (وسط)، ومختار الصحاح للجوهري ص٧٢٠ مادة (وسط)، تاج العروس: ٣٤٠/٥ مادة (وسط)، القاموس المحيط للفيروزآبادى ص ٨٩٤ مادة (وسط)، الوسطية في القرآن الكريم للدكتور/ علي محمد محمد الصلابي ص ١٥، ١٦.

الوسطيّة في اصطلاح الفقهاء: ورد لفظ (الوسط) في القرآن الكريم في أكثر من موضع على النحو التالي:

قال تعالى:

١. ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٤٣]، وقد ورد عن النبي - ﷺ - في أنه فسر الوسط في هذه الآية بالعدل(١)، وقال الإمام الرازي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: والحق هو الوسط، ويتأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وذلك الوسط هو العدل والصواب(٢).

٢. ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ [سورة البقرة من الآية: ٢٣٨]، رجّح الإمام الطبري بعد ذكر رأي العلماء في تفسير لفظ (الوسطى) أن المقصود بالصلاة الوسطى هي صلاة العصر؛ لتوسطها الصلوات المكتوبات الخمس، وذلك أن قبلها صلاتين (الصبح والظهر)، وبعدها صلاتين (المغرب والعشاء)(٣)، فالوسط هنا بمعنى البينيّة أي الوسط بين الشيئين.

٣. ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ [سورة المائدة من الآية: ٨٩].

---

(١) أخرجه البخاري: ١٧٦/٥، كتاب: التفسير، باب: " وكذلك جعلناكم امة وسطا " حديث رقم (٤٤٨٧).

(٢) تفسير الرازي: ٢١٨/١.

(٣) تفسير الطبري: ٥٦٧/٢.

تعددت أقوال المفسرين في تفسير لفظ (أوسط) الوارد في هذه الآية فقد فُسِّرت على أنها الأفضل أو الوسط بين القليل والكثير أو بين الجيد والرديء أو بين الشدة والسعة[١]، قال صاحب الكشاف في تفسيره لهذه الآية: أوسط أي أعدل لأن منهم من يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر[٢].

٤. ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ [سورة القلم، آية: ٢٨]، فسر الفقهاء لفظ (أوسط) الوارد في هذه الآية بالأعدل والأفضل، قال الإمام القرطبي – ﷺ –: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أي أعدلهم وأعقلهم[٣].

٥. ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ [سورة العاديات من الآية: ٥]، قال الإمام القرطبي – ﷺ –: ﴿ فَوَسَطْنَ ﴾ أي وسطن بركبانهم العدو، يقال: وسطت القوم: أي صرت وسطهم[٤]، يقصد وسطهم في المكان .

ويتضح من أقوال المفسرين والفقهاء في تفسير لفظة (وسط) أن مدلولها لا يخرج عن معاني العدل والفضل والخيرية والبينية[٥].

---

(١) الوسطية في القرآن الكريم ص ١٧ – ٣٨.

(٢) الكشاف للزمخشري: ٦٤٠/١.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٤٤/١٨.

(٤) تفسير القرطبي: ١٦٠/٢٠.

(٥) انظر في ذلك: تفسير الطبري: ٢ /٧، ٥٦٤، ٥٦٧، ٢٨٦/٣، ١٧/٧، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري: ٦٤٠/١، تفسير القرطبي: ١٦٠/٢٠، ٢٧٦/٦، تفسير ابن كثير: ٤٠٦/٤، الوسطية في القرآن الكريم ص ١٧، ٣٨.

ثانيا: تعريف الأمن:

الأمن في اللغة: الأمان والأمانة، والأمن: ضد الخوف، والأمانة: ضد الخيانة، والإيمان: ضد الكفر، والإيمان: بمعنى التصديق وضده التكذيب، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾[1] [سورة قريش من الآية: ٤].

الأمن في الاصطلاح: المعنى الاصطلاحي للأمن لا يخرج عن معناه اللغوي، فالأمن هو الطمأنينة والأمان وعدم الخوف، ومصطلح الأمن مصطلح واسع يشمل كافة مجالات الحياة، فهو لا ينحصر في النواحي الأمنية الظاهرة مثل القبض على المجرمين أو ومنعهم من الاعتداء على الناس فقط، بل يشمل جميع جوانب الحياة المادية والمعنوية، وهو حق لكل الناس، مسلمين وغير مسلمين، كما أنه مرتبط ارتباطًا وثيقًا بحفظ الضرورات الخمس؛ وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

ونظرًا لاتساع مفهوم الأمن وشموله لكل مناحي الحياة، فقد تم تصنيف الأمن إلى أنواع كثيرة كل نوع يختص بجانب من جوانب حياة الناس، فهناك الأمن الفكري، والأمن الاقتصادي، والأمن السياسي، والأمن الغذائي، والأمن الجنائي، والأمن الاجتماعي ... وغيرها.

ثالثًا: تعريف الفكر:

التعريف اللغوي: الفكر: إعمال الخاطر في الشيء[2]، وعرّفه الدكتور عبد الله الجربوع[3] بقوله: الفكر اسم جنس يطلق على الأفكار الحاصلة من

(١) لسان العرب لابن منظور: ٢١/١٣.

(٢) السابق: ٥/ ٦٥

(٣) رئيس قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وظيفة التفكير والتعقل والنظر التي أودعها الله تعالى في قلوب الناس[1].

الفكر في الاصطلاح: عرفه الفيومي – رحمه الله – (ت ٧٧٠هـ) بأنه ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علمًا أو ظنًّا[2].

وعرفه الدكتور/ عبد الله الجربوع بقوله: الأفكار: جمع فكر، ومؤنثه فكرة، ويراد به معنيان:

الأول: الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، وهذه هي عملية التفكر والنظر.

والثاني: يطلق على المعقولات نفسها، أي المعقولات والمعاني التي تنتج عن تفكر البشر وتأخذ شكل عقيدة أو مبدأ يؤمن به، فتتكون منه العقائد والتصورات البشرية المصدر، وتكون باعثة ومؤثرة على السلوك، وهذا هو المعنى المراد، ويدخل في ذلك عقائد ومفاهيم الأديان البشرية المصدر، أو السماوية الأصل لكن دخلها التحريف بفعل الفكر البشري، وتصورات الفلاسفة وأوهام وأساطير الوثنيين التي تأخذ شكل عقائد وقناعات وتصورات معتبرة، ولا يدخل فيه عقائد وشرائع الدين المحفوظ لأنها ليست نتائج فكر بشري بل هي وحي إلهي[3].

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة للدكتور/ عبد الله الجربوع: ٢/٥٨٤.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي: ٢/٤٧٩.

(٣) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: ١/١٣.

رابعاً: تعريف الأمن الفكري:

إن مصطلح الأمن الفكري مصطلح حديث لم يُتداول بين فقهائنا القدامى، على الرغم من ارتباط هذا المصطلح ارتباطًا وثيقًا بحفظ الضرورات الخمس الذي هو من أهم مقاصد هذه الشريعة الغراء، فالمتأمل في مقاصد هذه الشريعة يجد مفهوم الأمن الفكري موجود ضمنًا، وإن لم يصرح به لفظا، وقد تنبه علماؤنا المحدثون إلى هذا الأمر فبدأ المصطلح يظهر ويُشاع وينتشر بين العلماء وتتحدد ملامحه، وبدأ العلماء بالتأصيل للمفهوم بشكل علمي، وقد قام غير واحد من علمائنا الأجلاء بتعريف المصطلح منهم: الدكتور/ عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي[1] الذي عرفه بقوله: الأمن الفكري هو سلامة فكر الإنسان من الانحراف، أو الخروج عن الوسطيّة والاعتدال، في فهمه للأمور الدينية والسياسية والاجتماعية، مما يؤدي إلى حفظ النظام العام والأمن والطمأنينة والاستقرار في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من مقومات الأمن الوطني[2].

وعرفه الدكتور/ محمد السيد عرفة[3] بأنه: توصيف المهددات والأخطار والمصادر والأسباب التي تؤدي أو يمكن أن تؤدي إلى هز القناعات الفكرية، أو الثوابت العقدية، أو المقومات الأخلاقية والاجتماعية

---

(١) أستاذ بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية .

(٢) نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب ص ٤٩، رسالة دكتوراه، للدكتور/ عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي – جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية .

(٣) أستاذ القانون الدولي بكلية الحقوق – جامعة المنصورة.

والدينية للأمن الوطني[١].

وعرّفته الدكتورة/ هانم محمد عوض[٢] بأنه: تحقيق الاستقرار العقدي والأخلاقي والسلوكي والاجتماعي، وإيجاد الوسائل للوقاية من غزوها، والسبل المناسبة للعلاج من الغزو إن وقع[٣].

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الأمن الفكري هو حماية الفكر الإنساني من الانحراف، وإيجاد سبل الوقاية من هذا الانحراف عند وجوده.

(١) بحث بعنوان: مكافحة الإرهاب وتنمية الحس الأمني للدكتور/ محمد السيد عرفة ص ٢٩٧، البحث منشور بمجلة البحوث الأمنية – مجلة دورية علمية محكمة – تصدر عن مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية، المجلد ١٤ – العدد ٣٠ – ربيع الآخر ١٤٢٦هـ مايو ٢٠٠٥م.

(٢) أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية، تخصص التفسير وعلوم القرآن – جامعة الملك خالد.

(٣) بحث بعنوان: وسائل القرآن الكريم في تحقيق الأمن الفكري للدكتورة/ هانم محمد عبده عوض ص ٧٩، البحث منشور بمجلة مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الجزء ٩٤ – الصادر في رجب سنة ١٤٣٢هـ.

المبحث الأول

في الأمن الفكري

المطلب الأول

الأمن الفكري في الإسلام

إن مصطلح (الأمن الفكري) مكون من كلمتين هما: أمن وفكر، والأمن – كما عرفنا سابقا – أي الأمان، والفكر أي إعمال العقل ...، والأمن الفكري: أي حماية فكر الإنسان من الخطر، إذ أن حماية فكر الإنسان لا يقل أهمية عن حماية أمواله ونفسه وعرضه ...، فكما أن للأموال والأشياء لصوص، فإن للفكر والعقل لصوصا أيضا، بل إن لصوص الفكر والعقل أشد خطرا من سائر اللصوص؛ لأن العقل هو الأساس، فلو فرّط الإنسان في عقله، وتركه للصوص العقل تسرقه وتوجهه كيفما شاءت، فقد أضاع كل شيء: نفسه ودينه وعرضه وكل ما يملك، فأمْن الفكر من أهم أنواع الأمن التي يجب المحافظة عليه، وحمايته من كل ما يشوهه أو يؤذيه.

ونظرا لأهمية العقل، فقد اهتم به الإسلام اهتماما كبيرا، ومن مظاهر هذا الاهتمام أن جعله أحد الضرورات الخمس أو المقاصد الخمسة التي أُمرنا بالمحافظة عليها، وقد بلغ من عناية الشريعة بحفظ هذه الضرورات إلى أن حرّمت على الشخص إلحاق الأذى بنفسه أو غيره، فحرمت السرقة، وإضاعة المال، والزنا، وارتكاب الفواحش، وتناول المسكرات ... ونحو ذلك، ولم يُكتفى بالتحريم فحسب بل شُرعت عقوبات رادعة لمن يفعل ذلك كعقوبات الحدود والقصاص، وعقوبات للشروع في هذه الجرائم كعقوبات التعزير ... وغيرها، كما شُرعت إجراءات وقائية متنوعة للحفاظ على هذه

الضرورات وحمايتها لعدم الوقوع في الهلاك، فحماية نفس الإنسان ودينه وعقله وعرضه وماله، من أبرز الاهتمامات في الشريعة الإسلامية، وحمايتها ليست حماية للفرد فحسب، بل حماية للمجتمع كله، فلو حافظنا على هذه الضرورات فقد حافظنا على المجتمع بأكمله.

ومن المعلوم أن حفظ العقل من أهم المقاصد الشرعية؛ إذ العقل هو المتحكم الرئيس في حياة الإنسان، فبه يفكر، وبه يزن الأمور فيستطيع التفرقة بين ما هو نافع وما هو ضار، وبين ما هو خير وما هو شر، وبين ما هو جميل وما هو قبيح، وبه يدرك حقائق الأمور وخباياها، لذلك أمرنا الله تعالى بالمحافظة عليه، فحرم الاعتداء عليه بما يضره حتى يكون في سلامة؛ ليمد المجتمع بما ينفع.

وتظهر قيمة العقل وأهميته حينما حرّم الله تعالى الخمر وكل ما هو مسكر حفاظا على العقل، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة المائدة: الآية ٩٠]، فاجتناب الخمر من الأشياء التي تضمن للإنسان الفلاح.

وقال – ﷺ –: «كل شراب أسكر فهو حرام[1]» جاء في شرح هذا الحديث: أنه إذا أسكر الشراب فقد وجب اجتنابه لنجاسته، وحرم استعماله في كل حال، ولم يحل شربه[2]؛ لأنه يضر بالعقل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: ٥٨/١، باب: لا يجوز الوضوء بالنبيذ، ولا المسكر، حديث رقم: (٢٤٢).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٣٦١/١ .

وقد أطلق سلفنا الصالح على الخمر اسم "أم الخبائث"؛ لأنها مفتاح كل شر، فقد روى البيهقي في سننه قول سيدنا عثمان بن عفان، رضي الله عنه: "اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث، فإنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس، فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها فقالت: إنا ندعوك لشهادة، فدخل معها وكلما دخل بابا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك لشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي، أو تقتل هذا الغلام، أو تشرب الخمر، فسقته كأسا، فقال: زيدوني، فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبدا إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه" (١).

وفي هذا الأثر نلاحظ قول سيدنا عثمان بن عفان - ﷺ - أن الخمر لا تجتمع هي والإيمان أبدا، والإيمان هنا أي الأمن سواء أكان أمن اجتماعي، أم اقتصادي، أم فكري، أم سياسي، أم ديني ... أم غير ذلك من أنواع الأمن الأخرى.

كما نلاحظ أنه مع غياب العقل ارتكبت الفواحش من قتل وزنا وغيرها، فالعقل إذن هو الميزان الذي بموجبه يزن الإنسان الأمور كلها، فيستطيع التمييز بين ما ينفعه وما يضره.

وعلى الرغم من أن مصطلح الأمن الفكري لم يكن شائعا كمسمى لفظي بين فقهائنا القدامى، إلا إنه مصطلح قديم المدلول، فقد كان سلفنا الصالح يعملون دوما على سلامة عقولهم، وصونها من أي أذى أو ضرر،

(١) السنن الكبرى لأبي بكر البيهقي: ٨/٥٠٠، باب: ما جاء في تحريم الخمر، حديث رقم (١٧٣٣٩).

وحمايتها مما يلوثها أو يشوه أفكارهم، والقرآن الكريم مليء بالقصص والمناظرات مع المسلمين وغيرهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران آية: ٦٤]، جاء في تفسير هذه الآية: قل يا محمد لأهل الكتاب وهم أهل التوراة والإنجيل هلموا ﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ يعني إلى كلمة عدل هي أن نوحد الله تعالى ولا نشرك به شيئا، فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء، فلم يجيبوك إليها، فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك: اشهدوا بأنا مسلمون(١)، فناظر المسلمون أهل الكتاب في جو من الحرية والأمن الفكري السليم البعيد عن الغلو والتطرف والتشدد.

وقال – ﷻ – مؤكدا على مبدأ الأمن الفكري حتى مع غير المسلمين: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية: ٤٦]، أي لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه(٢).

وسيدنا عمر بن الخطاب – ﷺ – الذي كان شديدا في الحق، ولا يخاف فيه لومة لائم، حينما جاءه قدامة بن مظعون مستبيحًا شرب الخمر مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة المائدة آية: ٩٣]، فقال له عمر بكل هدوء وطمأنينة

(١) تفسير الطبري: ٤٧٣/٥ – ٤٧٤.
(٢) السابق: ٤١٧/١٨.

وسماحة: "أخطأت التأويل، إن اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله عليك"(١).

هكذا كانت المناظرات بين الحق والباطل؛ وهكذا كان تصرف سلفنا الصالح مع من يريد أن يتلف أفكارهم بأوهام وتأويلات خاطئة للنصوص الشرعية.

ومما يؤكد حماية سلفنا الصالح للأمن الفكري، ونبذ ما يعرف بالإرهاب الفكري، ما فعله الإمام مالك بن أنس – ﷺ – حينما طلب منه الخليفة العباسي (أبو جعفر المنصور) – ﷺ – أن يحمل الناس على العمل بكتابه (الموطأ)، وأن ينسخ نسخا ثم يبعث بها إلى كل مصر من أمصار المسلمين، ويأمرهم أن يعملوا بما فيه لا يتعدون إلى غيره، ويدعون ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث؛ لأن أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم، فما كان من الإمام مالك – ﷺ – إلا أن رفض بشدة؛ حمايةً للأمن الفكري، وقال قولته الشهيرة: " يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به من اختلاف الناس أصحاب رسول الله – ﷺ – وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار كل أهل بلد لأنفسهم"، قال الحافظ ابن عبد البر – ﷺ –: وهذا غاية في الإنصاف لمن فهم(٢). وهنا نلاحظ أن الإمام مالك – ﷺ – قد ضرب أروع الأمثلة في نبذ الإرهاب الفكري، والحجر على الناس في أفكارهم ومعتقداتهم.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ٥٤٧/٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر بن عاصم القرطبي: ٥٣٢/١.

المطلب الثاني

أهمية الأمن الفكري

تعتبر الحاجة إلى الأمن الفكري حاجة ماسة؛ وذلك للأسباب الآتية:

١. يعتبر الأمن الفكري ركيزة هامة وأساسية في حياة الشعوب، ومقياسا لتقدم الأمم وحضارتها على مر العصور، فهو سبيل من سبل بلوغ الأمم عزها ومجدها وكرامتها؛ لأنه يساعد بشكل كبير في استقرار الأمم وبالتالي فهو يعمل على ازدهارها وتقدمها في جميع المجالات، ويجعل لها كرامة وسيادة، فالحياة لا تستقيم إلا إذا كان الإنسان آمنا على نفسه، وأهله، وماله، وكل ما يخصه، واستقامة الحياة بالنسبة للإنسان متوقفة على أمنه الفكري.

٢. إن الأمن الفكري هو الذي يحمي المجتمعات ويحفظها من الوقوع في الفوضى، فهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالأمن القومي، فتأمين الدولة والحفاظ على قوتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية ... وغيرها لا يتحقق كليا إلا بتحقيق الأمن الفكري، فحماية الأمن الفكري الذي يهدف إلى حفظ الفكر السليم بعيدًا عن التشدد والتطرف والغلو، إنما يمثل بعدا استراتيجيا للأمن القومي، لأنه من المعلوم أن من أراد النيل من أي دولة عليه بتدمير الأمن الفكري؛ لأن الأمن الفكري المحرك الرئيس في قوة الدول واستراتيجيتها، والحفاظ عليه يعد حفاظا على الأمن القومي.

٣. يعد الأمن الفكري من أهم سبل الوقاية من الانحرافات الفكرية، فنحن الآن أصبحنا في مجتمع مفتوح، وأصبح العالم كالقرية الصغيرة؛ بسبب

التطور التكنولوجي الهائل في وسائل الاتصال المختلفة، وأصبح من السهل تسلل التيارات الفكرية المتطرفة وسط المجتمع، فأهمية الأمن الفكري أنه يعمل على منع هذه التيارات الفكرية المنحرفة من التغلغل داخل المجتمع، بل ويجعل المجتمع كله يتصدى لها ويقاومها ويمحها من الوجود؛ لأن هذه التيارات إن لم تجد لها آذنا صاغية وعقولا منصتة فستتلاشى للأبد.

٤. إن الأمن الفكري يحمي المجتمعات من الإرهاب والجرائم، فحماية عقول الشباب وتوعيتهم التوعية الصحيحة، ومعرفتهم حقيقة دينهم الوسطيّ البعيد كل البعد عن التطرف والتشدد والمغالاة، يساعد في القضاء على الانحراف الفكري.

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة للأمن الفكري، ومدى ارتباطه بأنواع الأمن الأخرى، وكيف أنه أساس للأمن العام، إلا أننا نجد أن هناك من يريد تدمير الشباب، واختطاف هويتهم، وتوجيههم كما يريدون؛ فيلوثون أفكارهم، ويسيطرون عليهم، ويزرعون بداخلهم الأفكار الهدامة التدميرية، التي تأكل كل ما تجده أمامها من الحرث والنسل؛ لأنهم يدركون تماما أن القضاء على أي بلد والنيل منها يكون عن طريق تدمير عقول الشباب، وسرقة أفكارهم واستبدالها بأفكار أخرى موجهة تخدم فكرهم المتطرف الهدّام.

وللأسف الشديد قد يجد هؤلاء المرتزقة المخربين من يسمعهم وينقاد إليهم ويتبع تعليماتهم ويقوم بتنفيذها على أكمل وجه، ولم يأت هذا عبثًا، بل إن هناك أسباب تجعل هؤلاء المرتزقة يحققون ما يريدون، ويجدون من يبحثون عنهم، وهذا ما يسمى بالانحراف الفكري.

المطلب الثالث

أسباب الانحراف الفكري

مما لا شك فيه أن الانحراف الفكري هو مكمن الشرور، ومصدر الإرهاب والفساد على مر العصور، فمنه تنطلق الأفكار الهدامة التي تدفع الناس نحو التخريب والتدمير، فإذا صلح الفكر اندفع الناس إلى الإصلاح والإعمار والإنتاج، أما إذا فسد الفكر فقد فسد المجتمع كله وأصابه الدمار والتخريب – والعياذ بالله – فكل المصائب والانتكاسات تأتي من الانحراف الفكري، وأسباب الانحراف الفكري كثيرة ومتنوعة منها: أسباب دينية، وأسباب اجتماعية، وأسباب تربوية، وأسباب اقتصادية، وأسباب سياسية ... وغيرها، وقد أوجزت هذه الأسباب في النقاط التالية:

١. انتشار فوضى الفتاوى العشوائية، وهؤلاء المنتسبين إلى الدين، الذين يشوهون أسماعنا ليل نهار بفتاوى فوضوية لا علاقة لها بالدين، نابعة من هوى أنفسهم؛ لتخدم أفكارهم ومعتقداتهم ونواياهم السيئة، وهؤلاء أشد خطرا على المجتمعات من غيرهم، وقد نبه رسول الله – ﷺ – عن ذلك منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فقد روي عن أبي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله – ﷺ –: «سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة»، قيل: وما الرويبضة ؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»[(١)].

---

(١) سنن ابن ماجه ١٣٣٩/٢، باب: الصبر على البلاء، حديث رقم (٤٠٣٦)، حكم الألباني: صحيح، في الزوائد في إسناده إسحاق بن أبي الفرات قال الذهبي في =

وقد جعل الإمام الشاطبي – ﷺ – أول أسباب الابتداع والاختلاف المذموم المؤدي إلى تفرق الأمة وتمزقها أن يدعي الإنسان أنه من أهل العلم والاجتهاد، فقال – ﷺ – أول أسباب الابتداع والاختلاف المذموم المؤدي إلى تفرق الأمة وتمزقها أن يعتقد الإنسان في نفسه أو يُعْتَقَدَ فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين، ولم يبلغ تلك الدرجة، فَيَعْمَلُ على ذلك، ويعد رأيه رأيا وخلافه خلافا، ولكن تارة يكون ذلك في جُزْئِيٍّ وَفَرْعٍ من الفروع، وتارة يكون في كل أصل من أصول الدين، كان من الأصول الاعتقادية أو من الأصول العملية، فتارة آخذا ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها، حتى يصير منها ما ظهر له بادي رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا رسوخ في فهم مقاصدها، وهذا هو المبتدع، وعليه الحديث الصحيح أنه – ﷺ – قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»، قال بعض أهل العلم: تقدير هذا الحديث يدل على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل علمائهم، وإنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم، فيؤتى الناس من قبله، وقد صُرِّفَ هذا المعنى تصريفا، فقيل: ما خان أمين قط ولكنه ائتمن غير أمين فخان، قال ونحن نقول: ما ابتدع عالم قط، ولكنه

= الكاشف: مجهول. وقيل: منكر. وذكره ابن حبان في الثقات، (خداعات) الخداع المكر والحيلة، وإضافة الخداعات إلى السنوات مجازية، والمراد أهل السنوات، (الرويبضة) تصغير رابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور وقعد عن طلبها، وتاؤه للمبالغة.

استفتي من ليس بعالم[1].

وقال الإمام مالك – ﷺ – في ذلك، إن ربيعة بكى، فقيل له: ما الذي يبكيك؟ أقضية نزلت بك؟ قال: لا ولكنه أبكاني أنه استُفْتِيَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، قال محمد بن رشد: إنما بكى ربيعة من استفتى من لا علم له؛ لأن ذلك مصيبة في الدين، وهي أعظم من المصيبة في المال[2].

وقال ابن مسعود – ﷺ –: لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم، فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا، قال ابن المبارك: (أصاغرهم) هم أهل البدع[3].

وروي عن مكحول – ﷺ – أنه قال: تَفَقُّهُ الرِّعَاعِ فَسَادُ الدين والدنيا، وَتَفَقُّهُ السَّفَلَةِ فَسَادُ الدين[4].

وقال الْفِرْيَابِيُّ – ﷺ –: كان سفيان الثوري إذا رأى هؤلاء النَّبْطِ[5] يكتبون العلم تغير وجهه، فقلت: يا أبا عبد الله! أراك إذا رأيت هؤلاء يكتبون العلم يشتد عليك، قال: كان العلم في العرب وفي سادات الناس، وإذا

---

(١) الاعتصام للشاطبي ص ٦٧٩ – ٦٨٠، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: ٣١/١ حديث رقم (١٠٠)، باب: كيف يقبض العلم.

(٢) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة لابن رشد: ١١/١٧ – ١٢.

(٣) الاعتصام للشاطبي ص ٦٨٢.

(٤) السابق ص ٦٨٣.

(٥) النبط: الماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفرت، والجمع أنباط ونبوط، والاستنباط: الاستخراج. واستنبط الفقيه إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه، قال الزجاج: معنى يستنبطونه في اللغة يستخرجونه. [انظر: لسان العرب: ٤١٠/٧].

خرج عنهم وصار إلى هؤلاء النَّبْطِ والسفلة غُيِّرَ الدين[1].

وهناك الكثير والكثير من أقوال أهل العلم في هذه المسألة؛ لأنهم يدركون مدى خطورتها على المجتمع، فالفتوى بغير علم قد تحرم حلالا أو تحل حراما، والناس بطبيعتها تميل إلى أهل الدين، فيكون خطر هؤلاء على المجتمع أشد خطرا من الغزو الخارجي؛ لأن الغزو الخارجي معلوم للجميع، أما هؤلاء فيعيشون بيننا ويبثون أفكارهم الشيطانية فيمن حولهم باسم الدين دون أن يشعر بهم أحد، فهم بذلك أشد خطرا على المجتمع من غيرهم.

٢. من أسباب الانحراف الفكري أيضا: الفهم الخاطئ لبعض نصوص الدين، فأصبح الجميع مفسرين، وكل مفسر يفسر كما يريد، وعلى هواه الشخصي، فأصبح هؤلاء يُكفّرون المسلمين، ويستحلون دماء الناس وأموالهم، ويقومون بالتدمير والتخريب تحت مسمى الإصلاح وإقامة شرع الله، وشرع الله بريء منهم ومن أفعالهم؛ لأن شرع الله لا يدعو إلى التخريب والتدمير، وإنما يدعو إلى البناء والتعمير والإصلاح، والقرآن الكريم مليء بالمواقف والقصص والعبر التي تدعو إلى الإصلاح والتعمير ونبذ العنف والإرهاب والتدمير، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل من الآية: ١٢٥]، لم يقل بالعنف والتخريب والتدمير، وإنما قال: ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾، وقوله: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها

(١) الاعتصام للشاطبي ص ٦٨٣.

وهي أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى[1]، وقال تعالى على لسان سيدنا شعيب – عليه السلام –: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [سورة هود من الآية: ٨٨]، أي ما أريد إلا فعل الصلاح ما استطعت؛ لأن الاستطاعة من شروط الفعل[2] .

والسنة النبوية أيضا مليئة بالمواقف والأحداث التي تؤكد على أن الإسلام دين السماحة واليسر ونبذ العنف والإرهاب والتطرف، فقد روي عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه –أنه قال: بينما نحن عند رسول الله – ﷺ – وهو يقسم قسما، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل» فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: «دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ من الدين كما يَمْرُقُ السهم من الرَّمِيَّةِ ... »[3]، مثل هؤلاء يفسرون النصوص لخدمة أهوائهم وأفكارهم الخاطئة، فيكفروا هذا، ويستحلوا دم هذا، ويجيزوا سرقة أموال

---

(١) تفسير الطبري: ٣٢١/١٧.

(٢) تفسير القرطبي: ٨٩/٩، ٩٠.

(٣) صحيح البخاري: ٢٠٠/٤، باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٦١٠)، والتراقي: جمع ترقوة وهي عظم يصل ما بين ثغرة النحر والعاتق، والمراد لا يفقهون معناه، ولا تخشع له قلوبهم، ولا يؤثر في نفوسهم، فلا يعملون بمقتضاه. و(يمرقون): يخرجون منه سريعا دون أن يستفيدوا منه. و(الرمية) هو الصيد المرمي شبه مروقهم من الدين بمروق السهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه دون أن يعلق به شيء منه لشدة سرعة خروجه.

هذا ... وغير ذلك، كل هذا تحت شعار الدين، وتفسيرهم الخاطئ لبعض النصوص، ومثل هؤلاء إنما يشوهون صورة الدين، والدين بريء منهم ومن أفعالهم.

٣. الاعتماد على بعض النصوص وترك بعضها، فمن المعلوم أن منهج السلف الصالح هو الجمع بين الأدلة، واستخراج الأحكام منها، لكن هؤلاء المرتزقة يعتمدون على بعض النصوص التي تخدم أفكارهم ومعتقداتهم، ويتركون البعض الآخر، مما يجعلهم يزيفون الحقائق ويوهمون الناس بأن ما يعتقدونه هو الدين الصحيح، وما دونه تضليل، وقد ورد في السنة بإسناد حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده – ﷺ – أن صحابة رسول الله – ﷺ – ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله – ﷺ – مغضبا، وقد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: « مهلا يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، بل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه، فاعملوا به، وما جهلتم منه، فردوه إلى عالمه[1]».

٤. التشدد في الأحكام، والإسراف في إطلاق التحريم في الفتاوى؛ وهذا التحريم المبالغ فيه خلق نوع من الكبت عند بعض الناس، وساهم بشكل كبير في انحراف أفكارهم، فالدين سمح بعيد كل البعد عن التشدد والتعصب والمغالاة، والأدلة على ذلك كثيرة ومتعددة، قال تعالى:

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١١/ ٣٠٥، حديث رقم (٦٧٠٢).

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٨٥]، وقال أيضا: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سورة الحج من الآية: ٧٨]، وقال جل شأنه: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ سورة التغابن من الآية: ١٦]، وغيرها الكثير من الآيات ...، ومن السنة المشرفة ما رواه أبو هريرة – ﷺ – عن النبي – ﷺ – أنه قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ من الدُّلْجَةِ»(١).

٥. الفراغ لدى الشباب، وهذا الفراغ هو مكمن الخطر، فهو يؤدي إلى الهاوية، فالفراغ يجعل الشاب يعطي عقله لأصحاب الأفكار الهدامة، فيصبح أسيرا لهم ولأفكارهم، يوجهونه كيفما شاءوا، فلابد من إشغال وقت الشباب بما هو نافع ومفيد، لكي يفيد نفسه ووطنه، وحتى لا يقع فريسة لأصحاب الأفكار الهدامة يوجهونه كيفما شاءوا.

٦. تعد التربية الخاطئة للأبناء من ضمن أسباب الانحراف الفكري، فتربية الأبناء على الأنانية وحب النفس وكره الآخرين والعدوان والتعصب ... وغيرها، تجعل الشخص معقدا نفسيا، يشعر دائما بالكره لمن حوله،

---

(١) صحيح البخاري: ١٦/١، باب: الدين يسر وقول النبي – ﷺ –: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»، حديث رقم (٣٩)، (يشاد الدين) يكلف نفسه من العبادة فوق طاقته، والمشادة المغالبة، (إلا غلبه) رده إلى اليسر والاعتدال، (فسددوا) ألزموا السداد وهو التوسط في الأعمال، (قاربوا) اقتربوا من فعل الأكمل إن لم تسطيعوه، (واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة كأول النهار وبعد الزوال وآخر الليل.

يرفض قبول الرأي الآخر ....، هذه التنشئة السيئة تعد أساس الانحراف الفكري؛ لأن الشخص بهذه الصفات يكون لديه الاستعداد الكامل لانحراف أفكاره وتوجهها التوجيه السيئ، خاصة إذا كانت هذه الأفكار المنحرفة تتوافق مع البيئة التي نشأ فيها، وهذه التربية الخاطئة بالطبع بعيدة كل البعد عن التربية الإسلامية الصحيحة، فالإسلام لا يدعو إلى الأنانية أو كره الآخرين أو التعصب أو العدوان ....، بل إن الإسلام دين المحبة والوسطيّة والسلام والعطاء ....، ينبذ العنف والإرهاب بكل أشكاله ووسائله، دين سهل يسير بعيد عن التشدد والتعقيد، جعل الله تعالى منهجه وسطيا معتدلا، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٤٣]، وسطا في العقيدة والعبادة والمعاملة والقيم والأخلاق والتربية ....، وقال – ﷺ – ناصحا لأبي هريرة – ﷺ –، ومبينا للأخلاق الإسلامية، قال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وكُنْ قَنِعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ، تَكُنْ مُسْلِمًا ... »[(١)]، هذه هي التربية الإسلامية التي يدعو إليها الإسلام، بعيدة عن البغض والكره والحقد والأذى.

٧. من أسباب الانحراف الفكري أيضا: غياب الرقابة الاجتماعية، فغياب الرقابة الاجتماعية يعد من أهم أسباب الانحراف الفكري، فالعالم الآن أصبح قرية صغيرة، والمجتمع أصبح مفتوحا دون قيود أو حدود، وترك

(١) سنن ابن ماجه: ٢/١٤١٠، باب: الْوَرَع وَالتَّقْوَى، حديث رقم (٤٢١٧)، حكم الألباني: صحيح .

النشء دون مراقبة يجعله أسيرا لأصحاب الأفكار الهدامة، يوجهونه كيفما شاءوا.

٨. أيضا الفقر والبطالة والظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة من أهم أسباب الانحراف الفكري؛ وذلك لأن هذه الظروف قد تُضعف الانتماء الوطني لدى الشباب، مما يجعله يبحث عن مصدر آخر لتحسين ظروفه المعيشية السيئة، فيستغل هؤلاء المرتزقة هذه الظروف ويبدعون في تخريب عقول هؤلاء الشباب، فيحرضونهم ضد أوطانهم، ويزرعون بداخلهم الكره والحقد لأوطانهم، مستغلين الفوارق بين الطبقات في المجتمع الواحد، ومن المتعارف عليه أن هذه الظروف السيئة هي أحد العوامل الأساسية في الانحراف الفكري والسلوكي.

٩. كثرة الصراعات السياسية والطائفية والقبلية في البلد الواحد؛ مما يجعل الشباب يتجهون لمن يعتقدون أنهم الملاذ والملجأ، فيرتمون في كنفهم، وهؤلاء يبدعون في استقطابهم وتوجيههم كيفما شاءوا.

١٠. الاستخدام الخاطئ لوسائل الاتصال الالكتروني، فنحن الآن أصبحنا أمام ثورة تكنولوجية هائلة، وتقدم اتصالي غير مسبوق، وقد يستغل هؤلاء المرتزقة سهولة الاتصال فيقتحمون عالم الشباب ويبثون أفكارهم الهدامة بكل سهولة، وللأسف قد يقنعون بعض هؤلاء الشباب بأساليبهم الزائفة، وشعاراتهم البراقة، وحججهم الواهية، وهذا ما يسمى بـ "الإرهاب الالكتروني"، وهذا النوع من الإرهاب أشد انواع الإرهاب خطورة، لأنه يدخل كل بيت وفي أي وقت دون رقابة، فأصبح من السهل السيطرة على عقول الشباب عن طريق هذه الوسائل.

هذه هي أسباب الانحراف الفكري الذي يؤدي إلى تدمير المجتمعات وسقوطها – والعياذ بالله – لذا لابد من الحد منه بل والقضاء عليه نهائيا، والوقوف بكل حزم وقوة في وجه كل من يحاول المساس بأمن الأوطان واستقرارها، وهذا لا يتأتى إلا بعلاج أسباب هذا الانحراف، وحماية العقول من كل ما يؤذيها أو يضرها.

المطلب الرابع
وسائل حماية الأمن الفكري

إن منافذ الغزو الفكري واسعة وكبيرة، أوسع من أن تحد بالطرق التقليدية القديمة، فالأمن الفكري يحتاج إلى حراسة كل عقل، وحمايته من الاختراق قدر الإمكان، والعلاج الناجح للانحراف الفكري يكمن في علاج أسبابه ودوافعه، وذلك على النحو التالي:

١. أصبحت الآن الحاجة ماسة إلى تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي انطبعت في أذهان الكثيرين عن الشريعة الإسلامية، فالشريعة الإسلامية ليست عبادات فقط أو معاملات فقط أو حدود فقط ... وإنما هي كيان كامل لا يتجزأ، ونظرية شاملة لكل مناحي الحياة عبادات ومعاملات وأخلاق وسلوك وفكر وعقيدة ... إلى آخره، ولا يمكن تطبيق جزء وإلغاء آخر، فلا يمكن تطبيق الشريعة في الحدود أو العبادات وترك تطبيقها في المعاملات أو الأخلاق أو السلوك، فمثلا لا يمكن أن أُؤدي جميع العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج، ولم تنهني هذه العبادات عن سوء الظن أو قول الزور أو أذى الجار ... قال – ﷺ –: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوايقه»(١)، وقال – ﷺ – أيضا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»(٢)، هذه هي الأخلاق التي دعت إليها

(١) صحيح البخاري: ٨/١٠، باب: إثم من لا يأمن جاره بوايقه، حديث رقم (٦٠١٦)، (بوائقه) جمع بائقة وهي الظلم والشر والشيء المهلك.

(٢) صحيح البخاري: ٨/١١، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، حديث رقم (٦٠١٨).

الشريعة الإسلامية، فالمقصود من العبادات تهذيب النفس وصلاح السلوك، فالعبادة التي لا تنهي عن فعل الفحشاء والمنكر فليس لله حاجة بها؛ لأن الله تعالى ليس بحاجة إلى عبادتنا؛ لأنه غنيٌ بذاته، لا يحتاج إلى شيء مما في الوجود بل كل ما في الوجود في احتياج مستمر إليه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [سورة فاطر آية: ١٥]، جاء في تفسير هذه الآية: يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتُنْجِح لديه حوائجكم ﴿ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء؛ منكم ومن غيركم(١).

كذلك الصوم الذي لا ينهى عن الفحشاء والمنكر فليس لله حاجة في أن ندع الطعام والشراب، فعن أبي هريرة- ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»(٢).

وكذلك الزكاة ما لم تنهى عن المن والأذى للآخرين فلا فائدة من إخراجها قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى .... ﴾ [سورة البقرة الآيات: ٢٦٢ – ٢٦٤]، والآيات واضحة الدلالة على المراد.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٤.

(٢) صحيح البخاري: ٣/٢٦ باب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، حديث رقم (١٩٠٣) .

وأيضا الحج الذي لا ينهى عن الفحشاء والمنكر فليس لله حاجة بـــه، جاء في السنة الصحيحة عن أبي هريرة- ﷺ - قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(١).

فكثير من الناس قد يخطئ في فهم قول الله تعالى: ﴿ وَمَا خلقت الْجِـنّ وَالْإِنْس إِلَّا ليعبدون ﴾ [سورة الـذاريات آيـة: ٥٦] فيظنـون أن العبـادة مقتصرة على الصلاة والزكاة والصوم والحج والذكر فقط، ويعتقدون أنهـم إن فعلوا هذه الأشياء فقط فإنهم بذلك أقاموا الإسـلام واتبعـوا تعليماتـه، والحقيقة غير ذلك فالعبادة ليست مقصورة على إقامة هذه الشعائر فحسب، بل إن مفهوم العبادة مفهوم واسع وشامل لكل أمور الدين، وكـل منـاحي الحياة، فالإنسان يجب عليه أن يكون عبدا لله في كل وقت وفي كل مكـان، وليس في أوقات أداء العبادات المعروفة التي لا تستغرق إلا وقتا قليلا مـن حياة الإنسان.

وقد فطن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إلى المعنى الحقيقي للعبادة فقال: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحـديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بـالعهود والأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسـان للجـار واليتـيم

(١) صحيح البخاري: ١٣٣/٢، باب: فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُورِ، حديث رقم (١٥٢١)، يرفث: من الرفث وهو الجماع والتعريض به وذكر ما يفحش من القول، يفسق: يرتكـب محرما من المحرمات ويخرج عن طاعة الله - ﷻ -، كيوم ولدته أمه: من حيـث براءته من الذنوب.

والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله؛ وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها(١).

فالشريعة الإسلامية كيان كامل متكامل، كل جزء فيها مكمل للآخر، فأداء العبادات لابد وأن يكون مقرونا بالأخلاق والسلوكيات الإسلامية الطيبة، التي تدعو إلى التواد والتراحم والتعاون والحب والعطاء ... وغيرها من الأخلاق الإسلامية الراقية.

ومن أمثلة الفهم الخاطئ لبعض نصوص الدين قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[سورة المائدة من الآية: ١]، قد فهم بعض الناس أن المقصود بالعقود هنا هي العقود التجارية فقط، لكن الحقيقة أن هذا لفظ شامل لكل العهود التي بين العبد وربه، جاء في تفسير السعدي: هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها، وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئا، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم، والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر، واليسر

(١) العبودية لابن تيمية الحراني الحنبلي ص ٤٤.

والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع، فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها(١).

ولكي يتم هذا التصحيح لابد من الفهم الدقيق لغايات ومقاصد تشريع الأحكام، وعدم الوقوف على ظاهر النص، بل يجب التغلغل داخل النص والإحاطة بأسباب النزول، ومحاولة فهم مناسبة كل قول، ولقد برع سلفنا الصالح في ذلك فلم يقفوا عند ظاهر النص بل تغلغلوا داخله وداروا حوله، ففهموا مقاصد التشريع وغاياته النبيلة، مثال ذلك عندما احتج مانعوا الزكاة بعد وفاة النبي – ﷺ – بقول الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [سورة التوبة من الآية: ١٠٣]، قالوا أن الله تعالى اشترط إعطاء الصدقة بصلاة الرسول – ﷺ – على صاحبها، ومعلوم أن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فلا تجب الصدقة لعدم وجوده – ﷺ –، ولم يقف الصحابة – رضوان الله عليهم – عند ظاهر النص بل تغلغلوا داخله، وردوا هذا التأويل الباطل على أصحابه وأفهموهم بأن القصد من تشريع الزكاة هو العطف على الفقراء ومشاركتهم في شعورهم ...، هكذا تعامل سلفنا الصالح مع النصوص، لم يقفوا على ظاهر النص بل فهموا المقصود من النص وتوصلوا إلى غاياته وأهدافه ففادوا وأفادوا، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) تفسير السعدي المسمى ص ٢١٨.

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران، من الآية: ١١٠].

إذن لابد من تصحيح بعض المفاهيم التي في أذهان بعض الناس نتيجة الفهم الخاطئ لبعض نصوص الدين، لكن لا يمكن أن يتأتى هذا التصحيح إلا بفهم دقيق لغايات الشرع ومقاصده النبيلة من تشريع الأحكام.

٢. ترك البدع وذمها والنهي عنها، والتمسك بكتاب الله ورسوله؛ لأن التمسك بكتاب الله هو طوق النجاة خاصة في هذه الأيام التي اشتد فيها الغزو الفكري وبلغ ذروته، فأصبح الناس يتركون السنن ويتمسكون بالبدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فضاعت معالم الدين الوسطيّ وسط هذا الزخم الكبير من الابتداع، وقد ذم الله تعالى الابتداع في الدين بكل صوره وأشكاله، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [سورة الشورى من الآية: ٢١]، أي ابتدعوا من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه(١)، وقد أوضح الله تعالى أن المبتدع إنما هو يتبع ما يأمر به الشيطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٦٩] أي: إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه، وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم، فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضا(٢).

وقد توعد الله تعالى أهل البدع ومن تبعهم بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ

(١) تفسير الطبري: ٥٢٢/٢١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٤٩/١.

شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سورة الحج، الآيتان: ٣، ٤]، جاء في تفسير ابن كثير: وهذا حال أهل الضلال والبدع، المعرضين عن الحق، المتبعين للباطل، يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رءوس الضلالة، الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء،﴿ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ أي: يضله في الدنيا ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير(١).

وقال – ﷺ – ذاما للابتداع أيضا: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد»(٢)، جاء في المنهاج: قال أهل العربية الرد هنا بمعنى المردود ومعناه فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه – ﷺ –، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات(٣).

وقد نبه – ﷺ – أن هذه البدع ضلال، فقال موصيا أصحابه: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين،

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٩٤/٥.

(٢) صحيح البخاري: ١٨٤/٣، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم (٢٦٩٧)، (أحدث): اخترع، (أمرنا هذا): ديننا هذا وهو الإسلام، (ما ليس فيه): مما لا يوجد في الكتاب أو السنة ولا يندرج تحت حكم فيهما أو يتعارض مع أحكامها، (رد) باطل ومردود لا يعتد به.

(٣) سنن أبي داود: ٢٠٠/٤، باب: في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧)، حكم الألباني: صحيح.

تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة[1]».

وقد سار السلف الصالح على نهج النبي - ﷺ - في ذم البدع ومبتدعيها، فقد ذكر الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره بعضا من أقوال السلف الواردة في ذم البدع فقال: قال الفضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه. وقال سفيان الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها. وقال ابن عباس: النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة[2].

فانتشار البدع وترويجها من أهم أسباب الانحراف الفكري، لذا يجب التمسك بكتاب الله وسنة نبيه المصطفى - ﷺ -، وذم البدع بكل أشكالها وصورها، حتى يستقيم الفكر الإنساني الذي أصابه الاعوجاج والانحراف جراء اتباع هذه البدع.

٣. التحري في الفتاوى، والقضاء على فوضى الفتاوى العشوائية التي انتشرت بشكل كبير، وأصبحت خطرا كبيرا يهدد مجتمعاتنا، فالفتوى بغير علم آفة خطيرة تؤثر بشكل سلبي على كافة أطراف المجتمع، فهذه الفتاوى العشوائية تؤدي إلى تشتيت الفكر، وتبديل المبادئ والقيم الإسلامية الوسطيّة بأخرى يكسوها طابع التشدد والمبالغة المذمومة، لدرجة تصل إلى التكفير، فأصحاب هذه الفتاوى يُكفرون كل من يخالف

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: ١٦/١٢.
(٢) تفسير القرطبي: ١٤١/٧.

تعليماتهم، ويستحلون دمائهم، ويبثون هذه الأفكار العدوانية الهدامة لدى الشباب، فينشأ جيل عدواني متشدد وحاقد على كل من حوله، ولديهم الاستعداد الكامل للإخلال بأمن الشعوب واستقرارها، لذا يجب أن تقف الدولة بكل أجهزتها في وجه هؤلاء للقضاء على هذه الفوضى الفكرية، ومواجهة هؤلاء المرتزقة وهذه العشوائية في الفتاوى، فلا يُقْدم على الفتوى إلا من هو أهل لها، كما يجب إنشاء قنوات تلفزيونية ومواقع تواصل اجتماعي تابعة للدولة ليرجع الناس إليها في فتواهم، وإغلاق كافة القنوات والمواقع التحريضية التي تحرض على العنف والإرهاب؛ ليعيش المجتمع في سلام وأمان وطمأنينة، قال العلامة ابن قيم الجوزيه – ﷺ – فيمن تصدر للفتوى من غير أهلها: من أفتى الناس وليس بأهل للفتوى فهو آثم عاص، ومن أقره من ولاة الأمور على ذلك فهو آثم أيضا، قال أبو الفرج بن الجوزي – ﷺ –: ويلزم ولي الأمر منعهم كما فعل بنو أمية، وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب، وليس له علم بالطريق، وبمنزلة الأعمى الذي يرشد الناس إلى القبلة، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو يطب الناس، بل هو أسوأ حالا من هؤلاء كلهم، وإذا تعين على ولي الأمر منع من لم يحسن التطبب من مداواة المرضى، فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة، ولم يتفقه في الدين؟[1].

٤. تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة، وهذا هو دور الأسرة في مواجهة الانحراف الفكري، بل للأسرة الدور الأهم في ذلك باعتبارها المرحلـــة

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزيه: ١٦٦/٤، ١٦٧.

التربوية الأولى والأساسية في حياة الإنسان، فعن طريقها تتكون الشخصية المستقبلية للفرد، ومنها يكتسب الفرد عاداته وتقاليده وسلوكياته وأخلاقه، لذا فالأسرة لها الدور الرئيس في صلاح أو فساد النشء، وعليها تقع المسؤولية الأكبر في تكوين شخصية الأفراد، فيجب أن ينتبه الآباء والأمهات إلى ذلك، ويأخذوا على عاتقهم تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة بعيدة عن الكره والحقد والتعصب والعنف، وذلك بتعليم الأبناء الأخلاق الإسلامية كالإيثار واحترام الغير ومحبة الآخرين والعطاء ... وغيرها من القيم الطيبة التي يدعو إليها الإسلام، وليس ذلك في تعاملهم مع المسلمين قط، بل في تعاملهم مع كل البشر مسلمين وغيرهم، قال -ﷺ-: «أَحِبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما»[1] رواه الترمذي، لم يقل للمسلمين فقط، وإنما قال للناس جميعا، كما يجب تربية الأبناء على أن الإسلام دين التسامح والعفو والغفران، فالنبي - ﷺ - كان يُؤذَى من قِبَل كفار قريش أذًا كثيرا لدرجة جعلته يترك مكة أرضه وموطنه؛ هربا من أذاهم وشرهم، ومع ذلك عندما انتصر عليهم ودخل مكة لم يعذبهم أو يقتلهم أو يطردهم من ديارهم وأموالهم، بل إنه عفا عنهم وقال: «من أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ... ما ترون أني صانع بكم؟» قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[2]،

(١) سنن الترمذي: ٥٥١/٤، باب: من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، حديث رقم: (٢٣٠٥)، حكم الألباني: حسن.

(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقي: ٢٩٣/١٣.

فقد سامحهم وعفا عنهم، واحترم فكرهم، وعاشوا سويا في أمان وسلام تحت مظلة الإسلام.

كما يجب تربية الأبناء على أن الإسلام دين الأمن والسلام والرحمة، وليس دين العنف والخوف والترهيب، فقد دعا الإسلام إلى السلم حتى مع غير المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ [سورة الأنفال: من الآية: ٦١]، أي: وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادعة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح، ﴿ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾: فمل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه(١).

ولمَا لا يكون الإسلام دين السلام والأمن وتحيته في الدنيا هي السلام، وفي الآخرة جعل الله تعالى تحية أهل الجنة أيضا السلام، قال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ [سورة الأحزاب من الآية: ٤٤] فتحية المؤمنين يوم القيامة في الجنة السلام(٢).

والسنة النبوية أيضا تحوي أحاديث كثيرة تدل على حرمة الترهيب والترويع والتخويف حتى ولو على سبيل المزاح أو الإشارة أو النظر، فعن أبي هريرة – ﷺ – قال: قال أبو القاسم – ﷺ –: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ(٣)»، وقال

(١) تفسير الطبري: ١٤/٤٠.
(٢) السابق: ٢٠/٢٨٠، ٢٨١.
(٣) صحيح مسلم: ٤/٢٠٢٠، باب: النَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ، حديث رقم (٢٦١٦/١٢٥).

– ﷺ – أيضا: «لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»(١)، وقال – ﷺ – في هذا السياق أيضا: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»(٢)، وعن السائب بن يزيد – ﷺ – عن أبيه عن جده أنه سمع رسول الله – ﷺ – يقول: «لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا، وَلَا جَادًّا»(٣)، وعن النهي عن الترهيب والتخويف ولو بالنظر قال – ﷺ –: «مَنْ نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخِيفُهُ بِهَا فِي غَيْرِ حَقٍّ، أَخَافَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤).

هذه الأحكام لا تسري على المسلمين فقط، بل حتى مع غير المسلم، فكلنا يعلم أن المدينة المنورة تحت قيادة رسول الله – ﷺ – كانت تضم العديد من طوائف المجتمع المختلفة فكان بها مسلمون، منهم المهجرون وهم الذين هاجروا مع سيدنا محمد – ﷺ – من مكة إلى المدينة، ومنهم الأنصار وهم أهل المدينة نفسها، وكان بها أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكان بها قبائل مختلفة كقبيلتي الأوس والخزرج وما كان بينهما من حروب وصراعات سياسية واقتصادية استمرت لأكثر من مائة عام، وكان بها كفار وعبدة أوثان ... وغير ذلك، وعلى الرغم من وجود

---

(١) صحيح مسلم: ٤/٢٠٢٠، باب: النَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ، حديث رقم (٢٦١٧/١٢٦).

(٢) سنن أبي داود: ٤/٣١٠، باب: مَنْ يَأْخُذُ الشَّيْءَ عَلَى الْمِزَاحِ، حديث رقم (٥٠٠٤)، حكم الألباني : صحيح.

(٣) سنن أبي داود: ٤/٣١٠، باب: مَنْ يَأْخُذُ الشَّيْءَ عَلَى الْمِزَاحِ، حديث رقم (٥٠٠٣)، حكم الألباني : حسن.

(٤) المعجم الكبير للطبراني: ١٣/٣٢، حديث رقم (٧٠).

كل هذه الطوائف على اختلاف دياناتهم وهويتهم وعاداتهم وطباعهم، فقد عاش الجميع تحت مظلة الإسلام في سلام وأمان، دون تخويف أو ترهيب، وضربت المدينة المنورة في ذلك الوقت أروع الأمثلة في تطبيق الأخلاق الإسلامية كالحب والعطاء والإيثار والرضا والقناعة ... وغيرها من الأخلاق الإسلامية المعروفة، قال تعالى واصفا حال أهل المدينة في ذلك الوقت: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الحشر آية: ٩]، جاء في تفسير الطبري: يصف الله تعالى الأنصار الذين تبوّءُوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ أي: ويعطون المهاجرين أموالهم إيثارًا لهم بها على أنفسهم، ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي: ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم، ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ أي: من وقي شحّ نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئًا، ولم يقربه، ولم يدعه الشحّ أن يحبس من الحلال شيئًا، فهو من المفلحين(١).

هذا هو الإسلام الوسطيّ، وهذه هي الأخلاق الإسلامية البعيدة كل البعد عن الانتقام والغل والحقد والعدوان، فيجب تربية النشء على هذه الأخلاق السامية، فهؤلاء النشء أمانة وضعت بين أيدينا، لابد أن نتق الله فيها، لأننا كلنا مسؤولون أمام الله تعالى عن هذه الأمانة، وقد نبه رسولنا الكريم - ﷺ - عن ذلك فقال: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير

(١) تفسير الطبري: ٢٣/٢٨٤ - ٢٨٧.

الذي على الناس راع، ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها، وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده، وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»[(١)]، جاء في المنهاج: قال العلماء الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته[(٢)].

فيجب تربية الأبناء على ما يحفظ لهم دينهم ودنياهم، وتعليمهم تعاليم الدين الوسطيّ المعتدل البعيد عن التشدد والتعصب والمغالاة؛ حتى لا يكونوا فريسة سهلة في يد أصحاب الأفكار الهدامة يشكلونهم كيفما شاءوا.

٥. علمنا مما سبق أن من أهم أسباب الانحراف الفكري: الفراغ لدى الشباب، – وكما قلنا سابقا – أن الفراغ لدى الشباب هو مكمن الخطر، فهو يؤدي إلى الهاوية، فالفراغ يجعل الشاب يعطي عقله لأصحاب الأفكار الهدامة، فيصبح أسيرا لهم ولأفكارهم، يوجهونه كيفما شاءوا، فلابد من إشغال وقت الشباب بما هو نافع ومفيد، وذلك عن طريق انشاء المشروعات وتشغيل الشباب، وإنشاء النوادي والمنتديات، وعمل ندوات ومحاضرات وورش عمل؛ لشغل وقت فراغهم؛ وتعريفهم وسطية الإسلام واعتداله، وتوضيح مساوئ التشدد والغلو؛ حتى لا يقعوا فريسة

---

(١) سنن الترمذي: ٢٠٨/٤، باب: ما جاء في الإمام، حديث رقم: (١٧٠٥)، حكم الألباني: صحيح.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: ٢١٣/١٢.

سهلة لأصحاب الأفكار الهدامة، كما يجب من خلال هذه المنافذ أو المشروعات تعريف الشباب خطورة الانحراف الفكري والتحذير منه، وزرع روح الانتماء وحب الوطن بداخلهم، وجعلهم في حالة استعداد تام لصد أي غزو خارجي فكري كان أم غيره، وتعويدهم على تحمل المسؤولية، وعدم السعي وراء أصحاب الأفكار المشبوهة والشعارات البراقة الزائفة، وإن أظهر أهلها الخير والصلاح؛ لأن هؤلاء لا يريدون إلا تدمير البلاد، وهم يعون تماما أن تدمير أي بلد يتم عن طريق تدمير فكر شبابها، فيقتحمون عالمهم وهم يرتدون ثوب الصلاح، مما يسهل عليهم مهمة جذب الشباب إليهم، لذا يجب ألا نترك عقول شبابنا تتأثر بهذه الفئة المغرضة الضالة، ويجب توعيتهم بهذا الخطر الفكري، والعمل دوما على صون أفكارهم من الأذى؛ لأن الحروب الآن لم تصبح حروبا عسكرية فقط، لكن هناك حروبا فكرية وحروبا نفسية وحروبا معنوية، هذه الحروب أشد خطرا على المجتمع من الحروب العسكرية، فعلى الشباب أن يعي هذا، ويعي أننا نعيش في عصر تعددت فيه التحديات الفكرية والعقدية، وأصبح الغزو الفكري أشد خطرا من الغزو العسكري، فعلى الشباب أن يحصنوا فكرهم ويحتاطوا لما يتلقوه من معلومات؛ خشية أن تؤثر بالسلب على أفكارهم، فيصبحون أسرى لأصحاب الأفكار الهدامة، حفظ الله شبابنا وبلادنا.

٦. لمعالجة الانحراف الفكري أيضا لابد من تحقيق التكافل الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع، فالفقر والبطالة والظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة قد تُضعف الانتماء الوطني، مما يجعل الشخص

يبحث عن مصدر آخر لتحسين ظروفه المعيشية السيئة، فينساق وراء هؤلاء المرتزقة الذين يستغلون هذه الظروف ويبدعون في تخريب عقله، لذا يجب سد هذه الثغرة؛ وذلك عن طريق تحقيق التكافل الاقتصادي بين أبناء المجتمع، ومحاولة القضاء على الفقر، وفي الحقيقة إن القضاء على الفقر والظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة لا يتأتى إلا باتباع تعاليم الإسلام، فقد نص القرآن الكريم على ضرورة إخراج جزء من أموال الأغنياء للفقراء، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [سورة التوبة من الآية: ١٠٣]، جاء في التفسير الوسيط للزحيلي: قال جماعة من الفقهاء: المراد بهذه الآية: الزكاة المفروضة، فيكون الضمير على هذا الرأي شاملا جميع الناس ...، والمعنى: خذ أيها النبي ومن بعدك من الحكام من أموال هؤلاء التائبين وغيرهم صدقة مقدرة بمقدار معين، تطهرهم من داء البخل والطمع والذنوب، وتزكي أنفسهم وتطهرها بها، وتنمي بها حسناتهم، وترفعهم إلى منازل المخلصين، والتزكية: مبالغة في تطهير المال وزيادة فيه، أو بمعنى الإنماء والبركة في المال، أي إن الله تعالى يجعل النقصان الحاصل بسبب إخراج قدر الزكاة سببا للإنماء(١).

وقد نبه رسولنا الكريم – ﷺ – على أن المال لا ينقص بالصدقة بل يزيد وينمو، قال – ﷺ –: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ»(٢)، فلو أخرج

(١) التفسير الوسيط للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي: ٩١٣/١.

(٢) سنن الترمذي: ١٤٠/٤، باب: ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، حديث رقم (٢٣٢٥)، وقال: حسن صحيح.

الأغنياء زكاة أموالهم بحق لحدث التكافل الاقتصادي بين أبناء المجتمع الواحد، ولقُضِيَ على الفقر، وتحسنت أحوال الناس المعيشية، لكن ما يحدث للأسف عكس ذلك، فقد أصبحنا في مجتمع طغت عليه النظريات المادية بكل صورها وأشكالها، هذه النظريات المادية الفاشلة خالية تماما من روح التكافل والمودة، فكل ما يهمها الفرد فقط دون التفكير في الجماعة، فخلقت نوع من الأنانية وحب الذات، وكان من نتائجها أن زادت الفجوة بين الطبقات، فأصبح هناك طبقتان: طبقة تمتلك كل شيء المال والسلطة، وطبقة لا تمتلك شيء، فأصبح الغني يزداد غنا، وكلما ازداد غِنًا كلما ازداد بخلًا، وأصبح الفقير يزداد فقرا، وكلما ازداد فقرا كلما ازداد حقدا وغلا على كل من حوله، هذه الأشياء خلقت جيلا معقدا ساخطا على أوضاع مجتمعه، ناقما على كل من حوله، وقد يستغل أصحاب النفوس الضعيفة هذه الثغرة، ويقومون باستقطاب هؤلاء الشباب مستغلين ما يمرون به من ظروف اقتصادية واجتماعية سيئة، ويقومون بتدمير أفكارهم، وتوجيههم كيفما شاءوا، وهذا خطر كبير يدمر الشعوب والمجتمعات، وقد نبه القرآن الكريم إلى عدم جعل الأموال في يد الأغنياء فقط دون الفقراء فقال جل شأنه: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة الحشر من الآية: ٧]، أي كي لا يكون الفيء الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء[١]، وفي ذلك من الفساد والضرر ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فلو اتبعنا ما أمر الله به، وأحسنا تطبيق النظام الإسلامي في تداول المال وفي طريقة كسبه وإنفاقه، لحدث التكافل الاقتصادي والاجتماعي الذي

(١) تفسير ابن جزي: ٢/٣٥٩.

نبحث عنه، ولزالت الفوارق بين الطبقات، وانتهى الفقر، وبذلك نكون قد قمنا بسد ثغرة هامة أمام أصحاب الأفكار المنحرفة، فلا يستطيعون السيطرة على عقول شبابنا، بل إن هذا يقوي روح الانتماء بين الشباب فيصبح الشاب محبا لوطنه غيورا عليه، لا يسمح لأي أحد كائنا من كان أن يلوث أفكاره أو يشوهها، ويقف في وجه كل من تسول له نفسه المساس بأمن هذه البلاد وسلامتها، وهذا هو المرجو.

٧. إن العالم اليوم يشهد تقدما الكترونيا ملحوظا، وأصبحنا أمام ثورة تكنولوجية هائلة في وسائل الاتصال، فأصبح الاتصال بين العالم كله سهلا ويسيرا، وكما يقول العلماء: أصبح العالم كالقرية الصغيرة بسبب التقدم الغير مسبوق في وسائل الاتصال، وهذا ما يسميه علماء التكنولوجيا بالإعلام الجديد أو الإعلام الموازي أو الإعلام البديل(١)، وهو يختلف عن الإعلام التقليدي في أنه سريع الانتشار، ولا يمكن السيطرة عليه إذ ليس له ضابط أو رابط، هذا الإعلام متاح في أي وقت وأي مكان ولأي شخص، ويمكن من خلاله نشر شائعات وأكاذيب لا صحة لها وتنتشر بسرعة البرق انتشار النار في الهشيم.

---

(١) الإعلام الجديد New Media أو الإعلام الرقمي Media Digital هو مصطلح يضم كافة تعريفات الاتصال والمعلومات الرقمية التي جعلت من الممكن انتاج ونشر واستهلاك وتبادل المعلومات التي نريدها في الوقت الذي نريده من خلال الأجهزة الالكترونية (الوسائط) المتصلة أو غير المتصلة بالإنترنت، والتفاعل مع المستخدمين الآخرين كائنا من كانوا وأينما كانوا. الإعلام البديل ص ١٤ لعلي حجازي إبراهيم – دار المعتز للنشر والتوزيع – مصر.

كل هذا الكم من المعلومات الخاطئة والأكاذيب التي نطالعها يوميا على مواقع التواصل الاجتماعي تحدث بلبلة وفوضى في المجتمعات، وكثيرا ما دمرت أشخاصا، وخرَّبت بيوتا، وأثرت على مجتمعات، وأدت إلى انحراف شعوبها، دون أن يكون هناك حساب أو عقاب لناشري هذه المعلومات الخاطئة والشائعات الكاذبة ... هذا النوع من الإعلام غير المنضبط الذي لا يصعب السيطرة عليه، أخطر على المجتمع من أي أخطار أخرى، فهناك من يستخدم هذه المواقع، لنشر أفكاره الهدامة المتطرفة، وإحداث الفتنة والفوضى بين فئات المجتمع، وهذا يفرض علينا عبئا كبيرا تجاه استخدام هذه الوسائل، إذ لا تُترك لأصحاب الأفكار الهدامة يستغلونها لتدمير عقول أبنائنا، فنحن بحاجة إلى تقنين وتنظيم هذا الإعلام الموازي، حيث إن تقنينه وتنظيمه ليس صعبا أو مستحيلا، خاصة لأهل الاختصاص من العلماء في هذا المجال، فيجب عليهم الإفادة من هذه الوسائل واستغلالها في معالجة الانحراف الفكري، وذلك عن طريق التوعية بخطر هؤلاء المخربين، والتحذير منهم وممن يتبعهم، ونشر مبادئ الدين الوسطيّ الحنيف البعيد عن التشدد والتعصب والمغالاة، خاصة وأن هذه الوسائل أثبتت فعاليتها في التأثير على المتلقي بشكل كبير، فيجب التعامل معها بحذر شديد، ومحاولة حجب أو إزالة كل ما يحاول أن يدمر عقول شبابنا، أو ينشر الأخبار الكاذبة ليُحدث الفوضى والبلبلة في البلاد.

٨. تعزيز مبدأ الانتماء وحب الوطن لدى الشباب، فالانتماء يجعل الشخص غيور على وطنه، لا يسمح لأي أحد كائنا من كان أن يسيطر على أفكاره أو يوجهها، والانتماء وحب الوطن مطلب شرعي، فقد أمر الله

تعالى المؤمنين بالتمسك والوحدة وعدم التفرقة، لأن في الوحدة قوة وفي التفرق ضعف، قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [سورة آل عمران من الآية: ١٠٣]، جاء في تفسير هذه الآية: فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادا وعملا، وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين(١)، وأما "الحبل"، فإنه السبب الذي يوصَل به إلى البُغية والحاجة، ولذلك سمي الأمان "حبلا"، لأنه سبب يُوصَل به إلى زوال الخوف، والنجاة من الجزَع والذّعر(٢).

ولنا في رسول الله – ﷺ – أروع الأمثلة على حب الوطن والانتماء إليه، فكلنا يعلم أذى أهل مكة له، وإجباره على الخروج منها، وعلى الرغم من ذلك فقد روي أنه عند خروجه منها وقف وهو على ناقته بِالْحَزْوَرَةِ ونظر إلى البيت وقال: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»(٣)، وفي الحديث دلالة على حب الوطن والانتماء إليه مهما قسى أهله.

---

(١) تفسير القرطبي: ١٦٤/٤.

(٢) السابق: ١٥٨/٤.

(٣) سنن الترمذي: ٢٠٧/٦، باب: في فضل مكة، حديث رقم (٣٩٢٥)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، الحزورة: موضع بمكة.

ولم ينس – ﷺ – وطنه الثاني المدينة المنورة التي كانت هي المأوى، فقد روي عن علي بن أبي طالب، قال: خرجنا مع رسول الله –ﷺ– حتى إذا كان بِحَرَّةِ السُّقْيَا التي كانت لسعد بن أبي وقاص فقال رسول الله – ﷺ –: «ائْتُونِي بِوَضُوءٍ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ وَدَعَا لأَهْلِ مَكَّةَ بِالبَرَكَةِ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلَيْ مَا بَارَكْتَ لأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ البَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ»[1]. وفيه أيضا دلالة على حب الوطن والانتماء إليه.

كذلك من أسباب تعزيز مبدأ الانتماء وحب الوطن: طاعة ولي الأمر في غير معصية، وهو أمر مأمور به شرعا، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة النساء من الآية: ٥٩]، فأمر بطاعته – ﷻ – أولا، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله – ﷺ – ثانيا فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثا، على قول الجمهور[2].

فمن المعروف أن طاعة ولي الأمر في غير معصية الله دليل على حب الوطن والانتماء إليه، وتفويت الفرصة على أعداء الإسلام من إيقاع الفرقة بين صفوف المسلمين.

لذا يجب على كل الجهات المعنية في كل البلاد أن ينموا هذا الشعور لدى أبناء المجتمع، حتى يصبح المجتمع كله كالنسيج الواحد أو كالبنيان

---

(١) سنن الترمذي: ٦/٢١٠ باب: ما جاء في فضل المدينة، حديث رقم (٣٩١٤)، وقال: حديث حسن صحيح .

(٢) تفسير القرطبي: ٥/٢٥٩.

المرصوص يقوي بعضه بعضا .

وأخيرا: لا يسعني إلا أن أقول: إن معالجة الانحراف الفكري ليست مسؤلية فرد بعينه، أو جهة بعينها، بل مسؤلية كل أطراف المجتمع وطوائفه المختلفة من مؤسسات وأفراد؛ لأنه إذا فقد المجتمع أمنه وسيطرت عليه الفوضى سيؤثر ذلك سلبا على مؤسساته، وإذا أصاب الخلل مؤسسات المجتمع سيؤثر ذلك سلبا على الأفراد، والعكس صحيح فلو أصاب الأفراد الانحراف الفكري فسوف يؤثر ذلك على مؤسسات المجتمع بأكمله، ويكون من نتيجة ذلك انتشار الفوضى والخوف وعدم الأمان، وتتحول البلاد الهادئة المطمئنة إلى غابات تحوي حيوانات مفترسة شرسة، تنهش كل ما تراه أمامها من الأخضر واليابس، وحتى لا تحدث هذه الكارثة – والعياذ بالله – علينا جميعا كأفراد ومؤسسات الوقوف في وجه كل من يحاول أن يدمر العقول، ويسيطر عليها ويوجهها كيفما شاء، ولا يتأتى ذلك إلا باتحاد الجميع يدا واحدة، ويعلم كل منا دوره، ولا يجوز التقليل من شأن أحد، فكل منا له دوره المؤثر في هذه المعركة التي يجب أن ننتصر فيها، حتى تعيش المجتمعات في سلام وأمان وطمأنينة، وذلك على النحو التالي:

المجتمع الدولي: عليه أن ينبذ الإرهاب الفكري وجميع أنواع الإرهاب الأخرى بكل صورها وأشكالها، ويعلن محاربته له ومحاربة كل من يساعد هذه العصابات المجرمة التي تهدف إلى تدمير الشعوب وخرابها.

قادة البلاد: عليهم مسؤلية عظيمة في مواجهة هذا الانحراف، فهُم الرعاة المسؤولون أمام الله وأمام الجميع عن رعيتهم، فعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال – ﷺ –: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى

النَّاسِ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ...»[1]، فعليهم إصدار القوانين الحازمة الصارمة ضد كل من يحاول زعزعة أمن واستقرار البلاد، وعليهم أن ينهوا أي خلافات طائفية داخل المجتمعات، ويجعلوا طوائف المجتمع كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى، فيعملوا على اجتماع الصفوف وتوحيد الكلمة؛ حتى يستطيعوا أن يقفوا في وجه الأعداء ويهزموهم بإذن الله؛ لأن في الاتحاد قوة وفي التفرق ضعف، فأبناء المجتمع أمانة في أيديهم، عليهم حمايتهم وتوجيههم وتذليل الصعاب أمامهم حتى يشعروا بالأمن والأمان داخل مجتمعاتهم، وحتى يحموا عقولهم من الانحراف.

علماء الأمة: إن مسؤوليتكم كبيرة، لا تقل أهمية عن مسؤلية من سبقكم، فعليكم مسؤلية توضيح وسطية الدين وعدم تشدده، وبيان سماحته ويسره، وتعليم النشء مكارم الأخلاق التي حث عليها الإسلام، وتعليمهم أن حب الوطن والانتماء إليه واجب ديني ومطلب شرعي، وتحذيرهم من أعداء الوطن الذين يزيفون الحقائق والوقائع تحت شعارات زائفة ودعوات مغرضة؛ لتحقيق أهداف وضيعة لا تريد إلا تدمير المجتمعات وهدم كيانها، فأنتم مسؤولون أمام الله تعالى، قال رسول الله – ﷺ –: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ...»[2].

الآباء والأمهات: لا تقل مسؤوليتكم عن مسؤولية من سبقكم، بل أنتم

---

(١) سنن الترمذي: ٤/٢٠٨، باب: ما جاء في الإمام، حديث رقم (١٦٩٢)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) سنن الترمذي: ٤/١٩٠، باب: ما جاء في القيامة، حديث رقم (٢٤١٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

الأساس في هذا الشأن، ومسؤولون عمن ترعوا، قال – ﷺ –: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ[1]»، وعن عبد الله ابن عمرو، قال: قال رسول الله – ﷺ –: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ[2]»، فأبنائكم أمانة في أيديكم، اتقوا الله فيهم، وأحسنوا تربيتهم، وعلموهم مبادئ دينهم الوسطيّ الحنيف، وتابعوهم حتى لا ينساقوا وراء المشككين المضللين، وحذروهم منهم، وقدموا لهم النصح والإرشاد دوما، فكلنا مسؤولون عمن نرعاهم.

شباب الوطن: عليكم المحافظة على أوطانكم، فالوطن أمانة في أيديكم، بكم ينهض، وبكم يتقدم، وبكم قد يسقط أيضا، فلا تعطوا الفرصة لإسقاطه، ولا تغرنّكم الشعارات البراقة الزائفة، وإنما انهضوا بأوطانكم، حافظوا عليها، واتقنوا عملكم، واشغلوا أوقات فراغكم بما يفيدكم ويفيد أوطانكم، واتقوا الله في أنفسكم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [سورة الطلاق من الآية: ٢]، وقال أيضا: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [سورة الطلاق من الآية: ٤]، وقال جل شأنه: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾ [سورة الطلاق من الآية: ٥]،

---

(١) سبق تحريجه.

(٢) سنن أبي داود: ١٣٢/٢، باب: في صلة الرحم، حديث رقم (١٧٠٥)، حكم الألباني: حسن.

فالرزق وتيسير الأمور وتكفير الذنوب وتعظيم الأجر ... إنما يأتي كله بتقوى الله – ﷻ –، حفظكم الله شباب أمتنا من كل مكروه وسوء، وهداكم جميعا لما يحب ويرضى.

أصحاب المال والاقتصاد ورجال الأعمال: إن طلب الرزق والسعي لتحصيل المال مأمور به شرعا؛ لما للمال من أهمية كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات، فهو وسيلة هامة لتحقيق مقاصد دنيوية وأخروية، فقد جعله الله تعالى قواما للحياة، إذا ما روعي في كسبه وإنفاقه تقوى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [سورة النساء: من الآية: ٥]، ﴿ قِيَامًا ﴾ قوامكم في معايشكم(١)، وقد جعل الله تعالى التقوى من أسباب الرزق، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة الأعراف من الآية: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [سورة الطلاق من الآية: ٢، والآية: ٣]، فاتقوا الله في أموالكم، وابتعدوا عن الشبهات في جمعها وإنفاقها، فلا تتعاملوا بالربا، ولا تحتكروا ولا تغشوا ولا تبيعوا المحرمات كالمخدرات وغيرها، وأخرجوا زكاة أموالكم، وتصدقوا على الفقراء والمساكين، وأنفقوا في أوجه الخير كثيرا، واتبعوا ما أمر الله به، وانتهوا عما نهى عنه، فإنكم مسؤولون عن جمع هذا المال وعن أوجه إنفاقه، جاء في السنة الصحيحة عن النبي – ﷺ – أنه قال: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ

(١) تفسير الطبري ٧/٥٧٠ .

جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ»[1]، فإن اتقيتم الله وفعلتم ما أمركم به، وتجنبتم ما نهى عنه، فسوف ترتقون بأوطانكم، وتساهمون في علو شأنها ومكانتها بين الأمم، ويعيش المجتمع كله في أمن وأمان وسلام.

رجال الصحافة والإعلام: إن دوركم في قضية الأمن الفكري لا يقل أهمية عن دور من سبقكم، فأنتم تملكون أدوات التأثير الفعال على أفراد المجتمع، وبذلك تملكون سلاحا ذو حدين، حد الحق وحد الباطل، فإما أن تستغلوه في نشر الحقائق والفضائل ومحاربة الفاسدين والمخربين والمجرمين، وهذا الواجب والمفروض عليكم، وإما أن تستخدموه في نشر الشائعات والأكاذيب وتضليل الشعوب – والعياذ بالله –، وهذا لا يليق بكم فعله؛ لأنه محرم شرعا، فتحروا الدقة فيما تنقلونه، ولا تروجوا للشائعات، فكم من أمم دُمِّرت بسبب الشائعات، وكم من عظماء هلكوا بسبب الشائعات، وكم من جرائم ارتكبت بسبب الشائعات، فكلنا يعلم خطر هذه الشائعات، وما تسببه من فوضى ودمار وزعزعة للمجتمعات، ولنا في حديث الإفك عبرة وعظة، فلولا العناية الإلهية لكادت هذه الشائعة أن تدمر كل ما تجده أمامها من أخضر ويابس، لكن الله سلم، وأراد بهذا أن يلقن البشرية درسا تربويا عظيما، ليرينا أن الحروب ليست حروبا بالأسلحة فقط، بل إن هناك ما هو أشد خطرا من الأسلحة، وهو الشائعات والحروب النفسية، فعندما عجز المشركون عن محاربة الإسلام بالأسلحة، اتجهوا إلى وجهة أخرى وهي أن بعضا منهم يتظاهر بالإسلام وهو يضمر في نفسه الكفر، ويقترب من

(١) سنن الترمذي: ٤/١٩٠، باب: ما جاء في القيامة، حديث رقم (٢٤١٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

المسلمين ويتعايش معهم ويحضر صلاتهم وعباداتهم، وعندما تأتي الفرصة لا يتردد في إلحاق الأذى بهم، هذا ما فعله عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين ورأس الفتنة بالمدينة المنورة، فعندما فشل المشركون والمنافقون في الحروب العلنية الظاهرة ضد الإسلام، اتجهوا إلى الحروب النفسية الباطنة، فقد اتهم هذا المنافق أم المؤمنين السيدة عائشة – رضي الله عنها – والصحابي صفوان بن المعطل – رضي الله عنه – بارتكاب بالفاحشة، وعاش النبي – ﷺ – أياما صعبة، وتحمل آلاما لا تطاق، ولحق الألم زوجه التي أحبها حبا شديدا، ووالدها الصديق – رضي الله عنه –، وهزت هذه الشائعة المدينة كلها، وكادت أن تفرق صفوف المسلمين لولا العناية الإلهية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾، [سورة النور آية: ١١].

وقد حذر الله تعالى من خطر نقل الشائعات والتحدث بها، وأوضح أن هذا الأمر عظيم، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور آية: ١٥]، وهنا قد ذكر القول باللسان والفم لا العقل والقلب، ليبين كذب وافتراء ما قالوه، وبعد أن يوضح الله – ﷻ – خطورة هذا الأمر وعظمه، يوضح ما كان يجب أن يُفعل في مثل هذه الحالة وهو عدم الترويج للشائعات وعدم التكلم بها، واتقاء الله في كل ما نسمع أو ننقل، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ هَذَا بُهْتانٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور آية: ١٦] فيها عتاب لجميع المؤمنين، فقد كان ينبغي عليكم أن

تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل، وأن تنزهوا الله تعالى عن أن يقع هذا من زوج نبيه – عليه الصلاة والسلام –، وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان، وحقيقة البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة أن يقال في الإنسان ما فيه(١).

ثم يوضح – ﷻ – عقوبة من يفعل ذلك وهي العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النور آية: ١٩].

وهذه الشائعة لم تكن أول شائعة في الإسلام، فالتاريخ الإسلامي مليء بالمواقف والأحداث التي توضح خطر الشائعات على المجتمع، فقد حدث يوم غزوة أحد أن أشاع الكفار أن الرسول – ﷺ – قُتِل، فتزعزع المسلمون وقل حماسهم وتفرق صفهم، وكان من نتيجة ذلك هزيمتهم في هذه المعركة، والشائعات الكاذبة أيضا قد أودت بحياة الخليفة الراشد عثمان ابن عفان – ﷺ – ... وغير ذلك من الوقائع والأحداث التي تبين خطر الشائعات، التي تمتلئ بها صفحات التاريخ.

هذا ما تفعله الشائعات تؤدي إلى خراب المجتمعات وتدميرها، لذا على رجال الصحافة والإعلام تحري الدقة فيما ينقلوه، والتأكد من صحته، وأن يجعلوا من إعلامهم وسائل دعوية للخير والحب والسلام ونشر الفضائل والبعد عن الرذائل، وأن يكونوا هم سلاحا للأمة في صد الهجمات الخارجية؛ لما لهم من تأثير كبير على الشعوب إيجابا وسلبا.

---

(١) تفسير القرطبي: ١٢/٢٠٤، ٢٠٥.

مما سبق يتبين أن الأمن الفكري هو حصن الأمان للأمم، وهو خط الدفاع الذي إذا سقط سقطت معه البلاد – والعياذ بالله – لذا علينا مقاومة الانحراف الفكري بكل صوره وأشكاله، كما علينا تعزيز وترسيخ مفهوم الأمن الفكري، وحماية عقول أبنائنا من كل ما يؤذيها أو يضرها، وكل هذا لا يتأتى إلا بالتمسك بدين الله وشرائعه وأحكامه، وعلينا التزود بتقوى الله في كل أمورنا؛ لأن تقوى الله هي خير زاد، قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٩٧]، جاء في تفسير الطبري: التقوى عمل بطاعة الله، وخص سبحانه أصحاب الألباب بالخطاب؛ لأنهم هم أهل التمييز بين الحق والباطل، وأهل الفكر الصحيح والمعرفة بحقائق الأشياء التي بالعقول تدرك وبالألباب تفهم(١).

(١) تفسير الطبري: ١٦١/٤.

المبحث الثاني

وسطية التشريع الإسلامي في تحقيق الأمن الفكري

تميزت الأمة الإسلامية بخاصية لم تكن لأمة من الأمم السابقة وهي ميزة الوسطيّة، وقد جعلها الله تعالى خاصة لأمة محمد – ﷺ –، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٤٣] أي فضلناكم على من سواكم من أهل الملل، كما فضّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطًا، ولفظ (الوسط) الوارد في الآية: الكريمة له أكثر من مدلول، فهو بمعنى البينية، والعدل، والخيرية، ومعنى الأمة الوسط أنها أفضل الأمم وأعدلها وأكملها وأبعدها عن الغلو، فلا هُم أهل غُلوٍّ كالنصارى الذين غلوا بالترهب، وقالوا في عيسى ما قالوا فيه، ولا هُم أهل تقصير كاليهود الذين بدّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها(١).

والأمة الإسلامية بوصفها أمة وسطا فهي بذلك تحمل أشمل وأكمل وأقوم منهج في العقيدة والأخلاق والتشريع ....، وهو الدين الإسلامي الذي شرعه الله تعالى لنفسه، وبعث به رسله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام ﴾ [سورة آل عمران من الآية: ١٩]، **<u>ومما يدل على وسطية وشمول وكمال وقوامة هذا الدين ما يلي:</u>**

١. أنه نهى عن الشرك وأمر بعبادة الله إلها واحدا لا شريك له، وبذلك يكون قد حرر العقول من الجهل والضلال والبدع والخرافات، وقد ميّز

(١) تفسير الطبري: ١٤١/٣ وما بعدها.

الله تعالى هذه الأمة بالوسطيّة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٤٣]، وهذه الوسطيّة تشمل كل أمور الدين من عقيدة وعبادة وتشريع ومعاملات ... إلى غير ذلك من الأمور، ففي جانب العقيدة جعلهم أمة وسطا بين التقصير والتفريط، فلا هم أهل غلو، ولا هم أهل تقصير، وكلنا يعلم مدى غلو أو تقصير الأمم السابقة كاليهود والنصارى، فاليهود قد وصفوا الله تعالى بصفات النقص كالبخل والفقر وغيرها، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [سورة آل عمران آية: ١٨١]، هذه الآية: وآيات بعدها نزلت في بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله -ﷺ-(١)، وقال أيضا: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [سورة المائدة من الآية: ٦٤]، أي أن خير الله مُمْسَك وعطاؤه محبوس عن الاتساع عليهم(٢).

أما النصارى فقد افتروا على الله بأنهم أضفوا صفة الألوهية على واحد من البشر وهو سيدنا عيسى-عليه السلام-، فقالوا إن عيسى يخلق ويحيي ويميت ويشفي المرضى ويرزق الناس ..، بل قالوا أبشع من ذلك قالوا هو ابن الله بل هو الله نفسه، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [سورة المائدة آية: ٧٢]، لكن الله تعالى أوضح كذبهم وافترائهم على لسان سيدنا عيسى الذي يدعونه إلها، قال تعالى في نفس الآية:

(١) تفسير الطبري: ٤٤١/٧.
(٢) السابق: ٤٥٠/١٠.

السابقة: ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة آية: ٧٢]، وقال أيضا: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة آل عمران آية: ٥٩].

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تدل على افترائهم على الله تعالى، وقد بيّن القرآن الكريم هذه الافتراءات وأثبت كذبها بالمجادلة والحجة القوية، وجاء ذلك في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة البقرة آية: ٢٥٨]، هذه الآية: تدل على إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة، فقوله ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ أي انقطعت حجته ولم يمكنه أن يقول أنا الآتي بها من المشرق، لأن ذوي الألباب يكذبونه(١).

فعقيدة الإسلام تتميز بالوسطيّة البعيدة عن التشدد والمغالاة، هذه الوسطيّة كانت من ضمن الأسباب التي ضمنت له الخلود والبقاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والوسطيّة لم تشمل العقيدة فقط، وإنما شملت كل جوانب هذا الدين من عبادات ومعاملات وتشريع وأخلاق وسلوك ... وغيرها – كما سيتضح لاحقا بإذن الله – كلها تتميز بالوسط والاعتدال، فكلها قائمة على قواعد وضوابط لا إفراط فيها ولا تفريط، وليست متروكة لأهواء الناس ومزاجهم،

(١) تفسير القرطبي: ٢٨٦/٣.

بل موضوعة من لدن حكيم خبير.

٢. أنه كرّم الإنسان وفضله على كثير من خلقه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا ﴾ [سورة الإسراء آية: ٧٠]، أي بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم(١)، وهذا التكريم له العديد من الصور والأشكال منها: ميزه بالعقل الذي يفكر به ويميز به بين الأشياء، كما أحسن خلقته وهيئته، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [سورة التين آية: ٤]، أي في أعدل خلق وأحسن صورة(٢)، كما سخر كل ما في الكون لخدمته ولمنفعته، قال تعالى في سورة النحل: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

(١) تفسير الطبري: ١٧/٥١٠.

(٢) السابق: ٢٤/٥٠٧.

يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل، الآيات: ٥ – ١٥]، والآيات واضحة في الدلالة على المراد.

٣. أنه أمر بفعل الخيرات، ونهى عن المنكرات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل آية: ٩٠]، جاء في الجامع لأحكام القرآن: قال ابن مسعود – ﷺ –: هذه أجمع آية: في القرآن لخير يمتثل، ولشر يجتنب[١]، هذه الأوامر والمنهيات تضرب أروع الأمثلة في وسطية هذا الدين واعتداله.

٤. أن الله تعالى قد شرع العبادات والفرائض للتقرب له سبحانه وتعالى، وتتميز العبادات المفروضة ونوافلها في الإسلام من طهارة وصلاة وصيام وحج وزكاة ونحوها باليسر والسماحة، وقلة التكاليف، وسهولة الممارسة، والبعد عن التشدد والغلو والتنطع، وكون المشقة فيها معتادة، فضلاً عن فوائدها الجمة، وآثارها التهذيبية والاجتماعية، والتعبير بها عن عبودية الإنسان لله الخالق[٢]، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات آية: ٥٦]، وكل ما أمر الله

(١) تفسير القرطبي: ١٠/١٦٥.

(٢) وسطية الإسلام وسماحته للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي ص ١٦، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

تعالى به خير، فأمر بالطهارة؛ لأن فيها حماية للنفس وسلامتها، ووقاية من المؤذيات وكل ما يضر، وأمر بالصلاة التي هي صلة بين العبد وربه؛ ليجعل المؤمن على صلة دائمة بربه يلجأ إليه في كل وقت وفي أي مكان دون حدود أو قيود، وأمر بالصوم وما فيه من صبر وإرادة وعزيمة وقوة تحمل على الإمساك عن كل الشهوات، وأمر بالزكاة؛ لتحقيق التكافل الاجتماعي والتعاون بين أبناء المجتمع الواحد، وفيها علاج لكثير من الأمراض الاجتماعية كالفقر والغل والحقد ... وغيرها، وأمر بالحج الذي فيه منافع كثيرة، والتقاء للمسلمين من جميع أرجاء المعمورة عرب وعجم؛ ليلبوا دعوة الله تعالى ويذكروا الله في أيام معلومات ... وهكذا، فلم يُشرع الله تعالى شيئا إلا وفيه حكم ومنافع كثيرة للناس.

وعلى الرغم من تشريع الله تعالى للعبادات للتقرب له سبحانه وعبادته إلا أنه نهى عن الغلو والتشدد في آدائها، فشرعت الرخص تخفيفا، فمن لم يستطع الصلاة قائما فجالسا، أو مستلقيا، ومن لم يستطع الصوم لمرض أو سفر أو غيره، فعليه الإفطار والقضاء متى زال العذر، ومن لا يملك النصاب الشرعي النامي في الزكاة، فليس عليه زكاة، ومن يفقد القدرة المالية أو البدنية أو الأمنية فلا حج عليه حتى يستطيع، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سورة الحج من الآية: ٧٨]، وقال أيضا: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن من الآية: ١٦] ...، وغيرها الكثير من الآيات التي تدل على التيسير ورفع الحرج.

ولو تأملنا العبادات لوجدنا تحقق معنى الوسطيّة فيها، فلم يجعل الله

تعالى اليوم كله صلاة، أو أيام العام كله صوم، أو إخراج المال كله في الزكاة، أو وجوب الحج كل عام، ولكن جعل أداء هذه العبادات بقدر يسير، وللمستطيع على أدائها فقط، وشرع الرخص للتيسير، فالصلاة خمس في اليوم والليلة، والصوم المفروض شهر واحد فقط من شهور العام، والزكاة لم تكن بإخراج كل المال، وإنما ربع العشر فقط في المال النامي البالغ للنصاب الشرعي، والحج فُرِضَ في العمر مرة واحدة فقط للقادر عليه، قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [سورة القصص من الآية: ٧٧]، ومعناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه(١)، وعن النهي عن التشدد في العبادة جاء في السنة الصحيحة: عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ – ﷺ –، قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ – ﷺ –، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ – ﷺ –، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ – ﷺ –؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٢). كما روى عن سعد بن أبي وقاص – ﷺ –

---

(١) تفسير القرطبي: ٣١٤/١٣.

(٢) صحيح البخاري: ٢/٧، بَابٌ: الترغيب في النكاح، حديث رقم (٥٠٦٣)، (رهط) قيل هم: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعثمان بن مظعون – ﷺ –، (تقالوها): عدوها قليلة، (ذنبه): ذنبه – ﷺ – على حسب مقامه وما =

أنه قال: «رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاَخْتَصَيْنَا»(١).

٥. حافظ على حقوق الإنسان كلها، وحرم الاعتداء على النفس البشرية وحمايتها من كل ما يؤذيها أو يضرها؛ فشرع العقوبات كالحدود والقصاص والتعزيرات؛ حماية للمجتمع، وحفظا للحقوق، ودفعا للشرور، ولتعزيز مبدأ الأمن والأمان، قال – ﷺ –: « فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»(٢)، كما شرعت العقوبات؛ للحفاظ على الأنفس والأعراض والعقول والأموال، فيُعاقب كل مجرم بالعقوبة الزاجرة الرادعة المناسبة لشدة الجرم، قال تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾[سورة المائدة من الآية: ٣٨]، فعقوبة جريمة السرقة هي قطع اليد، وعلى الرغم من بشاعة هذه العقوبة إلا أنها مناسبة للجرم، فإن كان قطع اليد بشع فجريمة السرقة

= يعتبر ذنبا في حقه ليس هو من جنس الذنوب حقيقة ولو فعله غيره لا يسمى ذنبا. كفعله خلاف الأولى ونحو ذلك، (أبدا): دائما دون انقطاع، (أرقد): أنام، (رغب عن سنتي) مال عن طريقتي، (فليس مني) أي ليس بمسلم إن كان ميله عنها كرها لها أوعن عدم اعتقاد بها، أن كان غير ذلك فإنه مخالف لطريقتي السهلة السمحة التي لا تشدد فيها ولا عنت.

(١) صحيح البخاري ٢/٧، بَاب: مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّبَتُّلِ وَالخِصَاءِ، حديث رقم (٥٠٧٣)، (رد) لم يأذن ومنع ونهى، (التبتل) الانقطاع عن النساء وترك الأزواج، (لاختصينا) من الخصاء، وهو قطع الخصيتين اللتين بهما قوام النسل أو تعطيلهما عن عملهما.

(٢) صحيح البخاري: ١٥٩/٨، بَابٌ: ظَهْرُ المُؤْمِنِ حِمًى إِلَّا فِي حَدٍّ أَوْ حَقٍّ، حديث رقم (٦٧٨٥).

أبشع؛ لأن فيها انتهاك للحرمات التي أمر الله بعدم انتهاكها، وفيها أخذ أموال الغير بدون وجه حق، وقد يترتب على جريمة السرقة جرائم أخرى كالقتل والاغتصاب وترويع الآمنين ... وغيرها من الجرائم البشعة، فشدة الجرم تحتاج إلى عقوبة قوية تتناسب مع قوته، فشرعت هذه العقوبة وغيرها من عقوبات الحدود والقصاص والتعزيرات؛ حماية للحقوق، وصيانة لمقاصد الشريعة وهي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة من الآية: ١٧٩] جاء في تفسير هذه الآية: جعل الله هذا القصاص حياة، ونكالا وعظةً لأهل السفه والجهل من الناس. وكم من رجل قد هَمّ بداهية، لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكن الله حَجز بالقصاص بعضهم عن بعض؛ وما أمر الله بأمر قط إلا وهو أمر صلاح في الدنيا والآخرة، ولا نهي الله عن أمر قط إلا وهو أمر فساد في الدنيا والدين، والله أعلم بالذي يُصلح خَلقه(١).

وعلى الرغم من ذلك يجوز العفو عن جرائم الحدود لكن قبل رفعها إلى الإمام، كما يجوز العفو في القصاص، ويجوز العفو في الدية، قال تعالى: ﴿ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ﴾ [سورة النساء من الآية: ٩٢]، أي: إلا أن يصدق أهل القتيل خطأ على من لزمته دية قتيلهم، فيعفوا عنه ويتجاوزوا عن ذنبه، فيسقط عنه(٢)، وسمي العفو عن الدية صدقة؛ حثاً عليها، وفي حديث الشيخين: «كل معروف صدقة»، وهذا التخيير بين

(١) تفسير الطبري: ٣٨٢/٣.
(٢) السابق: ٣١/٩.

عقوبة القصاص والدية والعفو مما تميزت به شريعتنا الإسلامية؛ للدلالة على الوسطيّة والاعتدال، فقد شرع القصاص وحده في الديانة اليهودية، والعفو وحده في الديانة المسيحية، ثم جاء النظام الإسلامي جامعاً بين المزايا كلها، لإبقاء صنائع المعروف والمودة والفضيلة، وتقليل تطبيق العقوبة، وجعله هو الشائع بين الناس(١).

ولم تكن المحافظة على النفس البشرية حال الحياة فقط، بل بعد الممات أيضا، فأمر بإكرام الميت وغسله ودفنه، وحرم الاعتداء على جثته، قال - ﷺ -: «كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا(٢)».

٦. ولم يكتف بحفظ حقوق الإنسان فقط، بل راعى ذلك في كل كائن حي كالحيوان والنبات والماء ... وغيرها من الكائنات الحية، وكلنا يعرف قصة الرجل الذي غفر الله تعالى له؛ لأنه سقى كلبا، وقال - ﷺ -: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(٣)، وقصة المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض(٤)، وفي

---

(١) وسطية الإسلام وسماحته ص ٢٣، والحديث أخرجه البخاري: ١١/٨، باب: كل معروف صدقة، حديث رقم (٦٠٢١)، ومسلم: ٦٧٩/٢، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم (١٠٠٥/٥٢).

(٢) سنن أبي داود: ٢١٢/٣، باب: فِي الْحَفَّارِ يَجِدُ الْعَظْمَ هَلْ يَتَنَكَّبُ ذَلِكَ الْمَكَانَ؟ حديث رقم (٣٢٠٧)، حكم الألباني : صحيح.

(٣) صحيح البخاري: ١١١/٣، بَابٌ: فَضْلِ سَقْيِ المَاءِ، حديث رقم (٢٣٦٣).

(٤) صحيح البخاري: ١٧٦/٤، بَابٌ: حَدِيثِ الغَارِ، حديث رقم (٣٤٨٢)، مسلم: ١٧٦٠/٤، باب: تحريم قتل الهرة، حديث رقم (٢٢٤٢/١٥١).

النبات حرّم قطع الشجر وحرق النبات بلا سبب، وفي الماء أمر بالمحافظة عليها وعدم الإسراف في استعمالها، وأوضح أهميتها لكل الكائنات الحية؛ ليحث على المحافظة عليها، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [سورة الأنبياء من الآية: ٣٠] أي حفظ حياة كل شيء بالماء[١]، وهكذا التعامل مع كل كائن حي، أمر الله تعالى بالمحافظة عليه، ومراعاة حقوقه، وعدم التعدي عليه بأي صورة من الصور.

٧. أيضا مما يدل على وسطية الإسلام أنه نظم العلاقات المالية بين الناس وبعضها، فأباح البيوع والتجارات، ونهى عن الغش والتدليس والربا، قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [سورة البقرة من الآية: ٢٧٥]، فالعدل في المعاملات، والرضا بين كل الأطراف، وعدم المساس بحقوق الآخرين، والوفاء بالعقود هو أساس فقه المعاملات المالية في الإسلام، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [سورة النساء آية: ٢٩]، وقال أيضا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [سورة المائدة: من الآية: ١]، وليس المقصود بالعقود هنا هي العقود التجارية فقط، لكن العقود لفظ شامل لكل العهود التي بين العبد وربه – كما أوضحت سابقا –، أيضا مما يدل على وسطية هذا النظام المالي أنه يقوم على مبدأ الحرية الاقتصادية، ما لم يخالف الشرع، فكل فرد من حقه الكسب الحر مادام مشروعا وغير محرم، قال

(١) تفسير القرطبي: ٢٨٤/١١.

رسول الله – ﷺ –: « دَعُوا النَّاسَ يَرْزُق اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»[(١)].

٨. مما يدل على وسطية الإسلام أيضا: أنه حمى أموال اليتامى والضعفاء؛ فحدد المواريث، ونهى عن أكل مال اليتيم؛ حفظا للحقوق، وتحقيقا للأمن، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة النساء آية: ١٣]، وقال أيضا: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [سورة النساء آية: ٢].

٩. كما في إباحة الطيبات من المأكل والمشرب والملبس والمسكن، وتحريم الخبائث كلها، دليل على وسطية هذا الدين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف آية: ٣٣]، وقال أيضا: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [سورة الأعراف من الآية: ١٥٧].

١٠. من وسطيته أيضا: أنه رتب العلاقات الأسرية والاجتماعية من نكاح وطلاق وعدة ونفقة ... وغيرها، وبيّن أن هذه حدود الله، وأمر بالالتزام بها وعدم تجاوزها، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة البقرة من الآية: ٢٢٩]، فالإسلام يحرص على بناء أسرة قوية متماسكة، يسود بين

(١) صحيح مسلم: ١١٥٧/٣، باب: تحريم بيع الحاضر للبادي، حديث رقم (١٥٢٢/٢٠).

أفرادها قيم التعاون والتراحم والاحترام، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الروم: من الآية: ٢١]، هذه السكينة والمودة والرحمة هي ما يحقق الخير والسعادة للأسر المسلمة.

١١. عمل على نشر قيم العدل والخير والمساواة والحب والرحمة بين الناس، وتعزيز الأخلاق الحميدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [سورة النساء من الآية: ٥٨]، ومن المعروف أن الحياة الإنسانية لا تستقم وترقى وتزدهر إلا بالتمسك بالأخلاق الإسلامية التي حث عليها ديننا الحنيف، قال مصطفى صادق الرافعي – رحمه الله – (ت ١٣٥٦هـ): وإذا كان لا بد للأمة في نهضتها من أن تتغير، فإن رجوعنا إلى الأخلاق الإسلامية الكريمة أعظم ما يصلح لنا من التغير وما نصلح به منه، فلقد بعُد ما بيننا وبين بعضها، وانقطع ما بيننا وبين البعض الآخر، وإذا نحن نبذنا لخمر، والفجور، والقمار، والكذب، والرياء، وإذا أنفنا من التخنث، والتبرج، والاستهتار بالمنكرات، والمبالغة في المجون، والسخف، والرقاعة، وإذا أخذنا في أسباب القوة، واصطنعنا الأخلاق المتينة: من الإرادة، والإقدام، والحمية، وإذا جعل لنا صبغة خاصة تميزنا من سوانا، وتدل على أننا أهل روح وخلق، إذا كان ذلك كله فلعمري أي ضير في ذلك كله، وهل تلك إلا الأخلاق الإسلامية الصحيحة، وهل في الأرض نهضة ثابتة تقوم على غيرها؟ (١).

(١) وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي: ١٥٣/٣، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

١٢. أمر بمراعاة حقوق الوالدين والزوجين والجار والفقراء والأجير..... ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ولها مكان في هذا الدين، فعن حق الوالدين قال جل شأنه: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [سورة الإسراء من الآية: ٢٣]، وعن حق الزوجين قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [سورة البقرة من الآية: ٢٢٨]، وعن حق الجار جاء في السنة الصحيحة أن رسول الله – ﷺ – قال: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»(١)، وعن حق الفقراء: قال رسول الله – ﷺ – لما بعث معاذا إلى اليمن: « فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»(٢)، وعن حق الأجير قال عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما – قال: قال – ﷺ –: «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ»(٣).

١٣. ومن عظمة وكمال وشمول هذا الدين أنه لم يهتم بالمسلمين فقط بل راعى حقوق غير المسلمين أيضا، قال تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة الممتحنة آية: ٨].

ونظرا لكمال وشمول ووسطية هذا الدين الحنيف، فقد كفل الله تعالى له البقاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه الصفات جعلته صالحا

---

(١) صحيح البخاري: ٨/١٠، بَابٌ: الوَصَاةِ بِالْجَارِ، حديث رقم (٦٠١٥).

(٢) سنن أبي داود: ٢/١٠٤، باب: فِي زَكَاةِ السَّائِمَةِ، حديث رقم (١٥٨٤)، حكم الألباني: صحيح.

(٣) سنن ابن ماجه: ٢/١٠٤، باب: أَجْرِ الْأُجَرَاءِ، حديث رقم (٢٤٤٣)، حكم الألباني: صحيح.

للتطبيق في كل زمان ومكان، وضمنت له الخلود، ويُعد تطبيق الدين الوسطيّ المعتدل البعيد عن التشدد والتنطع والمغالاة من أنجح الوسائل لتحقيق الأمن الفكري، وقد نهى الله تعالى عن الغلو في الدين؛ لأن الغلو سواءً أكان بالإفراط أم بالتقصير، يؤدي إلى عواقب كارثية قد تصل إلى الكفر – والعياذ بالله –، وهذا ما حدث مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى عندما غلوا في دينهم، قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ ﴾ [سورة النساء من الآية: ١٧١]، وقال أيضا: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة آية: ٧٧]، فيه نهي عن الغلو، والغلو التجاوز في الحد، ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربا، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر(١).

والمتأمل في أقوال النبي – ﷺ – يجد أنه قد أمر بالوسطيّة ونهى عن الغلو والتشدد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»(٢).

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ – قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»(٣)، قال

(١) تفسير القرطبي: ٦/٢٠ وما بعدها.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سنن ابن ماجة: ٢/١٠٠٨، باب: قَدْرِ، حَصَى الرَّمْيِ، حديث رقم (٣٠٢٩)، حكم الألباني: صحيح.

ابن تيمية – رحمه الله – : قوله (إياكم والغلو في الدين) عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال(١).

وعن عائشة –رضي الله عنها–، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ– ﷺ – لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»(٢)، فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حراما أو مكروها(٣).

والأمثلة من الكتاب والسنة التي تؤكد على وسطية هذا الدين واعتداله ونبذ الغلو والتشدد والتطرف كثيرة ومتنوعة، وسأكتفي بذكر ما ذكرته لعدم الإطالة، لكن يفهم من كل هذه النصوص أن الإسلام منهج وسط في كل شيء، في العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع ... إلى آخر تلك الأمور.

واتباع وسطية الإسلام وتطبيقها في كل أمور حياتنا والبعد عن التشدد والغلو من أنجح الوسائل لتحقيق الأمن الفكري، فلو اتبعنا ما أمر به ديننا الحنيف من التوسط والاعتدال لحمينا أنفسنا ومجتمعاتنا من الوقوع في متاهة الانحراف الفكري، وتصدينا بكل حزم وقوة لكل من يحاول هدم أو زعزعة أمننا الفكري أو الوطني، حمى الله بلادنا وشبابنا من كل مكروه وسوء.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: ١٣٥/٣.

(٢) صحيح البخاري: ١٨٩/٤، بَابٌ: صفة النبي – ﷺ –، حديث رقم (٣٥٦٠).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي: ٨٣/١٥.

الخاتمة

الحمد لله أولًا وأخيرًا، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بعد هذا العرض الموجز لوسطية الإسلام في تحقيق الأمن الفكري، يمكنني أن أحدد نتائج البحث في عدة نقاط، من أهمها:

- إن نعمة الأمن والاستقرار من أعظم النعم التي منَّ الله تعالى بها على الإنسان، ومصطلح الأمن مصطلح عام يندرج تحته كثير من الأنواع، فهناك الأمن القومي، والأمن الفكري، والأمن السياسي، والأمن الاجتماعي، والأمن الاقتصادي، والأمن التجاري، والأمن الغذائي، والأمن المائي ... وغيرها، ويُعد الأمن الفكري أهم هذه الأنواع، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه أساس أنواع الأمن الأخرى.
- ميز الله تعالى أمتنا الإسلامية بميزة لم تكن لأمة من الأمم السابقة، وهي ميزة الوسطيّة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، [سورة البقرة: من الآية: ١٤٣]، وسطية في كل شيء، في العقيدة والعبادة والتشريع والمعاملات والأخلاق والسلوك ... وكل مجالات الحياة، هذه الوسطيّة جعلت الإسلام دينا كاملا، ومنهجا خالدا، ضمنت له البقاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- بين وسطية الإسلام وتحقيق الأمن الفكري علاقة قوية ووطيدة، علاقة تزاوج أبدي لا يمكن له الانفصال، وإذا حدث وانفصلا أو انقطعت العلاقة بينهما، فسوف يؤدي ذلك إلى عواقب كارثية كبيرة، كالانحراف الفكري الذي يؤدي إلى تدمير المجتمعات والعياذ بالله.
- إن تحقيق الأمن الفكري لم تكن مسؤولية شخص بمفرده، أو جهة

معينة، بل مسؤولية الناس جميعا بلا استثناء، ويجب على كل طوائف المجتمع من هيئات ومؤسسات وأفراد وجماعات أن تتحد لمواجهة الانحراف الفكري؛ لأن الحروب بين الدول – الآن – لم تصبح حروبًا عسكرية فقط، بل حروبًا نفسية ومعنوية عن طريق تدمير عقول شبابها، وهذه أشد خطرًا من الحروب العسكرية، فيجب التضافر من الجميع بلا استثناء لمواجهة هذا الغزو الفكري الغاشم.

- من المعروف أن منافذ الغزو الفكري واسعة، أوسع من أن تحد بالطرق التقليدية القديمة، فالأمن الفكري يحتاج إلى حراسة كل عقل، وحمايته من الاختراق قدر الإمكان، والعلاج الناجح للانحراف الفكري يكمن في علاج أسبابه ودوافعه.
- إن لصوص العقول والأفكار أشد خطرًا على الأمة من لصوص الأموال والممتلكات؛ لأن العقل هو الأساس، فلو فرّط الإنسان في عقله، وسلّمه للصوص العقل تسرقه وتوجهه كيفما شاءت، فقد أضاع كل شيء: نفسه ودينه وعرضه وكل ما يملك، فأمْن الفكر من أهم أنواع الأمن التي يجب المحافظة عليه، وحمايته من كل ما يشوهه أو يؤذيه.
- إن الإصلاح المرجو لابد وأن يقوم على مبدأ الوسطيّة الإسلامية، بعيدا عن التشدد والتطرف والمغالاة، فلا سبيل للإصلاح بالغلو والتطرف الذي ينتهجه بعض المرتزقة تحت مسمى الدين، والدين بريء من التشدد والتطرف والمغالاة، بل ينبذ التطرف والتشدد وينهى عنه، فالدين الإسلامي دين وسط واعتدال ورحمة ومودة ورفق ولين وسماحة ويسر ودعوة حسنة، ولا سبيل للإصلاح إلا بتطبيق تعاليمه

ومبادئه الوسطيّة السمحة.

- فلا جدوى من محاولات الإصلاح إن لم تصطبغ بصبغة الوسطيّة الإسلامية التي تكفل الحرية والمساواة للأفراد والجماعات، وتضمن حقوق الإنسان كلها، ولا تنعزل عن العالم من حولها بل تتفاعل مع ما يحدث حولها من تقدم وتطور، وتتعايش مع الحضارات والثقافات الأخرى وفق مبادئها الوسطيّة السمحة.

أهم التوصيات:

- أوصي بضرورة بذل الجهود العلمية من قبل العلماء والمتخصصين في التعريف بمبادئ الدين الإسلامي الوسطيّ البعيد عن التشدد والتعصب والمغالاة، وذلك عن طريق عقد ندوات ومؤتمرات توضح وسطية الإسلام وسماحته، وعدم إلقاء هذه الندوات والمؤتمرات محليا فقط، بل جعلها عالمية، وترجمة ما تتضمنه من بيان وسطية وسماحة الإسلام لكل لغات العالم، ونشرها على أوسع نطاق، حتى نسد الباب أمام كل من يحاول أن يشوه صورة هذا الدين الوسطيّ الحنيف.
- أُوصي بالاهتمام بالشباب؛ لأن الشباب هم عصب الأمة وقوتها، فيجب على الدولة أن تتبنى المشروعات القومية لتوظيفهم واستغلال وقت فراغهم فيما ينفع، حتى يفيدوا أنفسهم وغيرهم.
- كما أُوصي بتفعيل دور الخطباء والوعاظ بالمساجد التابعة لوزارة الأوقاف، لأن دورهم في نشر مبادئ الدين الوسطيّ في غاية الأهمية؛ نظرا لقربهم من الناس البسطاء ووجودهم بينهم في كل وقت.
- كما أُوصي بضرورة التركيز على دور الإعلام المرئي والمسموع

ووسائل التواصل الاجتماعي، فللإعلام دور كبير في غرس مبادئ الدين الوسطيّ المعتدل، والتحذير من الغلو والتشدد والتعصب، والتحذير من هؤلاء المرتزقة الذين يبدعون في تزييف الحقائق والمتاجرة بالدين؛ لتحقيق أغراض شخصية نابعة من هوى أنفسهم، أعاذ الله أمتنا منهم ومن شرورهم.

- كما أُوصي أيضا بضرورة لم شمل أبناء الوطن الواحد، ومحاولة إزالة الفوارق بين الطبقات أو تقريبها؛ وذلك بإنشاء مشروعات لرفع مستوى الأسر الفقيرة وتنمية مهاراتهم؛ وذلك للقضاء على الفقر والبطالة، والاهتمام بمشروعات محو الأمية؛ لمحاربة الجهل، ورفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لأبناء المجتمع؛ حتى لا تُعطى الفرصة لأعداء الوطن لاستهداف هذه الطبقات وانجرافها في تيار الانحراف الفكري، فالطبقات الأكثر استهدافًا هم من يعانون الفقر والبطالة والجهل، حمى الله أمتنا وشبابنا وحفظهم بحفظه.
- وأخيرا: هذه محاولة لإبراز وسطية الإسلام في تحقيق الأمن الفكري، فان أصبت فهذا من فضل الله عليّ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلت جهدي واستطاعتي، وأن الكمال لله رب العالمين.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللّٰهُمَّ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم أجمعين

المصادر والمراجع

١. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة للدكتور/ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
٢. الاعتصام لابن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، ط: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٣. الإعلام البديل لعلي حجازي إبراهيم، دار المعتز للنشر والتوزيع، مصر.
٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.
٥. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: ٥٢٠هـ).
٦. تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، الناشر: دار الهداية.
٧. تفسير ابن جزي المسمى (التسهيل لعلوم التنزيل) لأبي القاسم، محمد ابن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ.
٨. تفسير ابن كثير، المسمى (تفسير القرآن العظيم) لأبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ.

٩. تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة ١٤٢٠هـ.

١٠. تفسير السعدي المسمى: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

١١. تفسير الطبري المسمى: (جامع البيان في تأويل القرآن) لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م،

١٢. تفسير القرطبي المسمى: (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

١٣. التفسير الوسيط للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

١٤. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر بن عاصم القرطبي أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١٥. سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه

يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٦. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير ابن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٧. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

١٨. السنن الكبرى أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

١٩. صحيح البخاري، المسمى (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٠. العبودية لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: السابعة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٢١.فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط: الأولى ١٣٥٦هـ.
٢٢.القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – ط: الثامنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
٢٣.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ.
٢٤.لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.
٢٥.مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٢٦.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي، المكتبة العلمية – بيروت.
٢٧.المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: الثانية.

٢٨.معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٢٩.معرفة السنن والآثار لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الوفاء (المنصورة – القاهرة)، ط: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٣٠.مكافحة الإرهاب وتنمية الحس الأمني، للدكتور/ محمد السيد عرفة، بحث منشور بمجلة البحوث الأمنية – مجلة دورية علمية محكمة – تصدر عن مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية، المجلد ١٤ – العدد ٣٠ – ربيع الآخر ١٤٢٦هـ مايو ٢٠٠٥م.

٣١.المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية ١٣٩٢هـ.

٣٢.نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، رسالة دكتوراه، للدكتور/ عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي – جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

٣٣.وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٣٤.وسائل القرآن الكريم في تحقيق الأمن الفكري، للدكتورة/ هانم محمد عبده عوض بحث منشور بمجلة مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

والدعوة والإرشاد، الجزء ٩٤ – الصادر في رجب سنة ١٤٣٢هـ.
٣٥.وسطية الإسلام وسماحته للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
٣٦.الوسطيّة في القرآن الكريم للدكتور/ علي محمد محمد الصـــلابي، ط: الأولى ١٤٢٢هـ – مكتبة الصحابة – الإمارات – الشارقة.